

جامعة الأزهر الشريفية

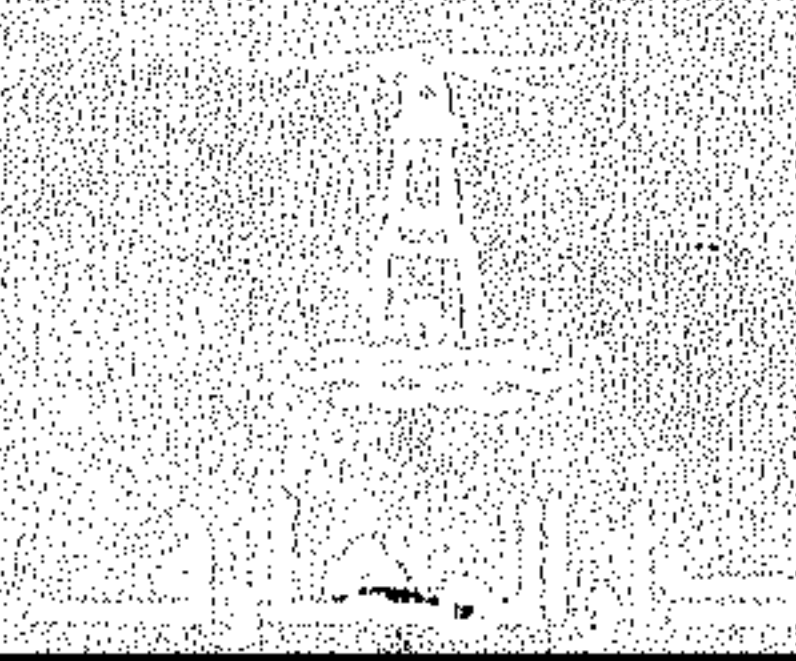
الدراسات والبحوث

مسير حياتك تكسبها



خطاب سعي العشاق

ترجمته
دكتور محمد سعيد



Bibliotheca Alexandrina



02053-17



مَسْرُوحِيَّاتِ شَكْسِبِير

جامعة الدول العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة

خاب سعى العشاق

ترجمة

الدكتور لويس عوض

مراجعة

الأستاذ محمد شفيق غربال الأستاذ محمد بدرات

الطبعة الثالثة



دار المعارف

الناصر . دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.٢٠٠٤ع.

مقدمة

لم يكن النقاد قديماً يرون في مسرحية « نخب سعى العشاق » إلا أنها تمثل بداية الفن عند شكسبير . كانت الفكاهة فيها في نظرهم فجة والفن الدرامي في أولياته . ولكنهم حديثاً أصبحوا يرون لها قيمة كبيرة من عدة نواح . فهي تدل دلالات لها قيمتها ومغزاها عن بداية فن شكسبير الدرامي ؛ إذ أنها تحمل الكثير مما يدل على أصل هذه النماذج القوية التي تصادفنا في مسرحياته الكبرى . وفيها من فن رسم الفكاهة وصنعها ، وفن رسم الشخصيات وإنمائها ، ما هو حقيق بالتأمل والدرس . وهي بعدُ تنقل إلينا صورة مجتمع قديم ما زال له سحره التاريخي . وأخيراً فإن امتزاج العادي بغير العادي فيها يؤلف تركيباً عجيباً له هو أيضاً سحره الذي لا ينكر .

أما تاريخ تأليف المسرحية فإن النقاد يعالجون أمره ، كما يعالجونه في شتى مسرحيات شكسبير ، من عدة زوايا . فهناك التاريخ المثبت على النسخ القديمة الأولى ، وهناك الأحداث التاريخية التي تشير إليها الأسماء والحوادث المسرحية ؛ وأخيراً هناك الشعر نفسه من حيث فنيته وما يمكن أن تدل عليه من

أطوار حياة الشاعر الفنية ؛ ثم من حيث ما اقتبس من شعر الشعراء المعاصرين والقدايم أو أفكارهم وصورهم المشهورة عنهم .

من كل هذا يخرج النقاد بأن المسرحية ألفت سنة ١٥٩٥ ؛ إذ أن تبعية ملك ناغار للملكة إنجلترا إليزابيث انتهت سنة ١٥٩٤ . وهناك أصل تاريخي للسفارة المذكورة في المسرحية . فلقد استقبل ملك ناغار في سفارتين : الأولى كانت أميرة فرنسا بنت كاترين دي ميدتشي هي السفيرة ؛ والأخرى كانت السفيرة فيها هي كاترين ملكة فرنسا نفسها ؛ حيث قابلت الملك هنري في سان برى سنة ١٥٨٦ . وكانت آكوتين المقاطعة المذكورة في المسرحية فعلا ضمن بائنة مرجريت في زواجها من ملك إنجلترا . وفي كلتا السفارتين كانت تقام الحفلات ويعم المرح أياماً . وأما أكاديمية الملك فهي بدورها صدى لحقيقة تاريخية ؛ فلقد جمع ملك ناغار بعض العلماء من حوله وذاع صيت هذا البلاط بعلمائه . وكان بذلك يقلد أمراء إيطاليا الذين حاولوا في بلاطهم بعث المثل الأفلاطوني القديم بإحياء مجالس محاورات العلماء . وأغلب الظن أن شكسبير استقى معلوماته تلك من مختصر عن تاريخ هذه الحركة العلمية ترجم عن الفرنسية في أيامه وذاع .

وهناك دلالات أخرى تؤيد هذا التاريخ . منها أن بعض أبيات من قصيدة بعينها مؤرخة للشاعر سوثل Southwell توجد في المسرحية ببعض التحريف البسيط .

أما الأستاذ فلي Fleay فله طريقته الخاصة في تاريخ مسرحيات شكسبير عامة . إذ يؤرخها بناء على درس تطور الفن الشعري نظماً ووزناً وقافية في مؤلفات الشاعر . وقد صدقت نتائجه في أكثر المسرحيات . وهو يضع هذه المسرحية ضمن أوائل ما ألف شكسبير في حياته المسرحية . وكذلك يضعها الأستاذ بولدون Baldwin ضمن التركيب الشعري الشكسبيري الساذج الذي يمثل بداية الفن عنده . وبعد المسرحية عن التصميم الكلاسي المعروف لروائع شكسبير يؤكد هذه الحقيقة مرة أخرى .

ويفيض النقاد في دراسات أخرى حول هذه المسرحية من حيث أصولها واقتباساتها مما يصعب نقله في هذه المقدمة القصيرة فليرجع إليه من شاء في مظانه الأصلية وسيجد صورة مختصرة لذلك في مقدمة نسخة آردن التي عنها ترجمنا .

مهير القلماوي

أشخاص المسرحية

Ferdinand		فرديناد	: ملك نافار
Berowne	}	بيرون لونجافيل دومان	: أشرف في خدمة الملك
Longaville			
Dumain			
Boyet	}	بوييه مركاد	: شريفان في خدمة أميرة فرنسا
Marcade			
Don Adriano de	}	دون أدريانو دى أرمادو	: أسباني غارق في الأوهام
Armado			
Sir Nathaniel		السيد ناثانيل	: قسيس
Holofernes		هولوفرنيز	: مدرس
Dull		دل (١)	: ضابط في البلاط
Costard		كستار (٢)	: مهرج
Moth		مث (٣)	: خادم أرمادو
		حارس الغابة	
		أميرة فرنسا	

(١ - ٣) في الاصل Dull ومعناها غبي و Costard ومعناها تفاحة و Moth ومعناها فراشة . ولم تر ترجمة الأسماء وإن دلت على معان واضحة .

Rosaline }
Maria }
Katharine }

روزالين :
وصيفات في خدمة الأميرة :
كاثرين :

Jagueneta

جاكنيتا : بنت ريفية

سادة - خدم - إلخ . . .

المنظر : نافار

الفصل الأول

المنظر الأول

حديقة ملك نافار

(يدخل فرديناند ملك نافار وبيرون ولونجافيل ودومان)

فرديناند : يبحث الناس جميعاً عن الشهرة طول الحياة ،
 أما نحن فنخلد في مثنوانا الذي تخط عليه يد المجد
 آيات البقاء في ألواح من نحاس لا يبلى أبداً ،
 وهكذا نضيء في ظلمة الموت .
 فسمعنا في هذه الحياة ينقذنا من مخالب الزمن
 آكل الجيف ، ولازمن منجل حده بتار ،
 ولكن المجد يفيل منجل الزمن ، ويورثنا الخلود
 فيا أيها الغزاة الشجعان ، وإنكم حقاً لغزاة شجعان ،
 يا من تقهرون شهواتكم وتقاتلون ملذات العالم
 وهي من حولكم كالجحافل الحاشدة ، هكذا قضى
 قضاؤنا الأخير ، وهو نافذ أكيد ،
 أن تكون نافار عجيبة الدنيا .
 ولقد جعلنا هذا البلاط مجمعا للعلماء ،

يسوده الهدوء وتملؤه التأملات ، في كل فن من
الفنون الحية ، علم من العلوم الخالدة .
وأنتم يا رجالى الثلاثة ،

يا بيرون ، ويادومان ، وأنت يا لونجافيل ،
لقد أقسمتم أن تقيموا معى ثلاث سنوات .
نطلب فيها العلم معاً ونفى فيها بالعهد المدونة في هذا الطرس .
أما وقد فرغتم من القسم ، فليوقع كل منكم باسمه على
ما أقسم عليه ،

حتى يقضى بيده على شرفه
إن هو حنت في قسمه ولو مقدار خردلة .
فإن صحت عزائمكم على أن تحققوا ما أقسمتم على فعله ،
فلتكتبوا أسماءكم تحت أقسامكم المغلظة
وأوفوا بالعهد وكونوا من الصادقين .

لونجافيل : لقد صبح عزيمى ، فما هى إلا ثلاث سنوات من الصوم
والزهد ،

ثلاث سنوات يشبع فيها العقل ، ويذبل الجسد :
فالبطون السمينة لها رؤوس صغيرة ،

والطعام الشهى يبنى الأكتاف ولكنه يخرب العقول .
أى مولاي العزيز ! إن دومان ميت بين الأحياء ،
دومان :

وهو ينبذ خسيس الملذات الدنيوية
ويقذف بها إلى العبيد الأخساء في هذه الدنيا الحسيسة ،
أجل ، إنه ينبذ الحب والمال والجاه ، ولا أجد لى
فيها حياة
ولكننى أجد فى الحياة الفلسفية متعاً روحية أو عقلية
تعديل هذه المتع جميعها .

٣٠٠

بيرون :

كل ما أستطيعه أن أكرر ما ألزمونا به
لقد أقسمت يا سيدى العزيز من قبل
أن أعيش وأدرس هنا ثلاث سنين .

٣٥

ولكن هذا ليس كل شىء ، فهناك شروط قاسية
أخرى نلتزم بها .
مثلا : غير مصرح لنا أن نرى امرأة فى هذه الفترة ،
وإنى لأرجو ألا يكون هذا الشرط مدوناً هناك .
كذلك علينا أن نصوم عن الطعام يوماً كاملاً من
كل أسبوع ،

٤٠

وأن نقنع بوجبة واحدة فيما عدا ذلك من الأيام .
وهذا ما أرجو ألا يكون مدوناً هناك .
كذلك محرم علينا أن ننام أكثر من ثلاث ساعات
كل ليلة .

- وألا نغفو لحظة واحدة طول النهار .
 ولقد تعودت أن أنام نوماً هنيئاً طول الليل
 وأضيف إلى سواد الليل نصف النهار .
 لهذا أرجو ألا يكون هذا الشرط مدوناً في هذه الوثيقة .
 تلك كلها فروض عقيمة يصعب الوفاء بها :
 ألا نرى النساء ، وأن ندرس وأن نصوم عن الطعام وأن
 نمتنع عن النوم .
 لقد أقسمت أن تتخلى عن هذه الملذات .
 عفواً يا مولاي ، أنا لم أفعل من ذلك شيئاً .
 أنا ما أقسمت إلا على شيء واحد ،
 وهو أن أطلب العلم مع جلالتك ، وأن أقيم في بلاطك
 ثلاث سنوات .
 بل أقسمت على ذلك يا بيرون ، وعلى كل ما يتبعه
 من نتائج .
 أقسمت بلا ونعم يا سيدى ، أقسمت هازلاً ،
 قل لى : ما جدوى الدرس ؟
 أن نعرف ما لا نستطيع أن نعرفه لولاه
 أنقصد ما خفى واستعصى على إدراك الناس الفطرى ؟
 أجل ، هذه هي النفحة الإلهية التي وعدت للدراسين .

فرديناند :

٥٥ بيرون :

لونجانفيل :

بيرون :

٥٥

فرديناند :

بيرون :

فرديناند :

إذا كان هذا هو العلم ، عاهدتك أن أدرس
حتى أعرف ما نهيت عن معرفته .
فإن حرمت على لذائد المائدة
درست لأعرف أين أجد لذيد الطعام
وإن اختفت الغواني عن أنظار عامة الناس
درست كيف أتقى الغواني الفاتنات .
وإن أقسمت أغلظ الإيمان أن أفي بشيء
درست كيف أتحلل من قسمي دون أن أتحلل من
وفائي .

فإذا كانت كل هذه ثمار الدرس وكان الدرس
ما تصبون ،

فإن الدرس يثمر ما لم يثمره بعد .
هيا ، خذوا العهد مني ، فلن أضين بالعهد عليكم .
إن ما ذكرت هو الحوائل التي تسد طريق العلم
وتعود أفهامنا اللذات الكاذبة .

بل كل اللذات كاذبة ،
وأكذب اللذات هي التي نبتاعها بالألم
فلا نرث منها غير الألم .

انظر إلى الكتاب : كم يشقى فيه نور العين

بيرون . :

٦٠

٦٥

٧٠ فرديناند :

بيرون :

٧٥

باحثاً عن نور الحق ، ونور الحق يعشى نور العين .
 نور يبحث عن نور ! فإذا النور يروغ من النور ،
 وقبلما تتميز مكان النور من الظلمة
 تفقد عينيك فيظلم نورك .

٨٠

فلندرس إذن كيف نبهج العين حقاً ،
 وبهجة العين أن تلتقى بعين أعظم منها فتنة وجمالاً ،
 بهر ناظره فلم يبصر إلا العين مصدراً للنور ،
 ووهبته العين النور الذي أعشاه .

فالعلم إذن كالشمس الباهرة في السماء ،
 لا يصل إلى جوهرها من حلق بوقاحة فيها .
 وهكذا لا يجنى الباحثون الدائبون في كتب الغير
 إلا رأى الغير ، وياله من كسب خسيس .

٨٥

وراصد الأفلاك مصابيح السماء ،
 الذي يبتكر اسماً لكل نجم ثابت

لا ينعم بضياء الليل

٩٠

أكثر مما ينعم به السارى الذي لا يعرف من أمره شيئاً .
 ومن أسرف في طلب العلم لم يجن شيئاً سوى الشهرة
 الجوفاء .

فهو يقف عند المظهر دون الجوهر ، ومظهر الأشياء في
 متناول كل إنسان .

- فرديناقد : إن قراءته الواسعة قد جعلته يحمل على القراءة .
- ٩٥ دومان : وتقدمه في العلم جعله يسخر من العلماء .
- لونيغافيل : هو يقتلع الزرع ثم يترك ما اقتلع لينمو .
- بيرون : إن رأيت الإوز الأخضر يفرخ فاعلم أن الربيع قد جاء .
- دومان : وما صلة هذا بما نقول ؟
- بيرون : صلة الزمان والمكان .
- دومان : ولكنه غير معقول .
- بيرون : إذن فقد حكمتني القافية .
- ١٠٠ فرديناقد : إن بيرون حسود
- بيرون : كالصقيع الذي يقتل بواكير الربيع .
- بيرون : لك ما تريد . . أنا كذلك إن شئت .
- فكيف يباهي الصيف الفخور قبلما يغنى الطير
وكيف أطرب للوليد المسوخ جاء قبل الآوان ؟
- ١٠٥ فأنا لا أتمس الورود في برد الشتاء ،
كما لا أطلب الثلوج في جنة الربيع الغناء .
بل أحب من الأشياء ما جاء في أوانه ،
وطلبكم العلم الآن قد جاوز زمانه ،
كمثل من يتسلق على الأسوار ليفتح باب الدار
المنخفض .

- فرديناند : إذن فانت تتنحى يا بيرون ، هيا انصرف إلى بيتك .
١١٠ صاحبك السلامة ا
- بيرون : كلا يا مولاي ، أنا أقسمت أن أقيم معك .
ورغم أنك تستطيع القول إنى قد أفضت في الدفاع
عن شيطان الجهل
بأكثر مما أفضت في الدفاع عن ملاك المعرفة ،
فإنى واثق من احترامى لقسمى ،
١١٥ وسوف أقوم بالتكفير ثلاث سنوات يوماً بيوم .
هات الورقة لأقرأها ،
وسوف أوقع باسمى على أقسى ما بها من شروط .
- فرديناند : إن هذا القبول لينقذك من العار .
بيرون : (يقراً) المادة الأولى : « لا يجوز أن توجد امرأة على
على بعد يقل عن ميل من بلاطنا» .
١٢٠ هل أذيع هذا القرار ؟
- لونجافيل : أجل ، منذ أربعة أيام ،
بيرون : فلنقرأ العقوبة (يقراً) : « وإلا عوقبت بقطع لسانها » .
منذا الذى وضع هذه العقوبة ؟
- لونجافيل : قسماً أنى أنا الذى وضعتها .
١٢٥ بيرون : وما سبب وضعها يا سيدى العزيز ؟

لونجافيل : لنخيف النساء بهذه العقوبة الرادعة فلا يقربن هذا المكان .

بيرون : هذا قانون خطر لا يتفق مع الأدب والنوق .
(يقرأ) المادة الثانية : « إذا رأى رجل يتحدث إلى امرأة خلال ثلاث سنوات حكم عليه ببقية رجال البلاط بما يتراعى لهم لتحقيقه في عيون الناس » .

١٣٠

لا بد لك يا مولاي من أن تحرق هذا القانون .
فأنت تعلم حق العلم
أن بنت ملك فرنسا ،

وهي فتاة ذات فتنة وجلال ،

قادمة إلى هذا البلاط في سفارة

١٣٥

لتفاوضك في أمر تسليم « آكويتين ^(١) »
لأبيها الشيخ المريض القعيد الطريح الفراش .
وعلى هذا فقد وضعت هذه المادة بغير جدوى
أو أن الأميرة الجميلة تسعى إلينا عبثاً .

١٤٠ فرديناند : وما قولكم أيها السادة؟ لقد فاتنا أمرها تماماً .

بيرون : المبالغ في التدبير يجاوز الهدف .

(١) Aquitaine = آكويتين .

فهو في حرصه على تحقيق غرضه المنشود ينسى أداء الواجب المحدود .

وما إن يبلغ منتهى مراده حتى تضيع ثمار جهاده .
كالمدينة تخسرها حين تقهرها :

تفتحها بالحديد والنار ، فإذا هي أنقاض من دمار .

١٤٥

لا بد إذن من إلغاء هذا القرار .

: فرديناند

لا بد أن تقيم بيننا الأميرة بحكم الضرورة .

إن الضرورة ستضطرنا جميعاً

: بيرون

إلى أن نخرق كل الأحكام ثلاثة آلاف مرة خلال
ثلاثة أعوام .

إن كل من في الأرض يولد ومعه نزعاته ،

١٥٠

لا تحكمه القوة ولكن تسيره رغباته .

فإن حثت بالقسم فاعلموا أن طبعي هو الذي حث .

فأنا لا أحنث إلا بحكم الضرورة .

هاتوا إذن أحكامكم كلها أوقع عليها

(يوقع) . ومن يخرق هذه القوانين ولو في أصغر صغيرة

١٥٥

استحق أن ينزل به العار الأبدى .

إن المغريات تكتنف غيري من الناس كما تكتنفي ،

ولكني أعتقد أني سوف أكون آخر من يخرق هذا العهد .

أما الآن وقد فرغنا ،

أما لديكم من متعة سريعة نروح بها عن النفس ؟
نعم ، لدينا . أنت تعلم أن بلاطنا يتردد عليه رحالة إسباني ،
وهو رجل ذو رقة مصقول يلم بكل جديد في عالم السلوك .
رجل يتفنن في ابتكارات العبارات
كأن رأسه دار لسك الكلام ،

١٦٠

: فرديناند

رجل يصغي لنفسه وينصت لكل ما يجري به لسانه
من حديث أجوف فيسكر به كأنه أعذب الألحان ،
رجل مهذب قادر على أن يعرف الحق من الباطل
إذا اختلف فيهما .

١٦٥

واسم هذا الرجل رضيع الأوهام السيد أرمادو .

وسوف يقص علينا في خلال أوقات الدرس

أجمل القصص في أعذب كلام عن مآثر الفرسان
الذين خرجوا زرافات من إسبانيا ، بلد المسوح والرهبان ،
ثم ضاعوا في النضال الأكبر الذي التهم الدنيا ،
ولست أدري أيها السادة هل يسركم حديثه أم يسوؤكم ،
أما أنا فأعترف لكم بأنني أحب أن أستمع لأكاذيبه ،
وسوف أجعل منه الشاعر الذي يطربني بأغانيه .

١٧٠

١٧٥

أرمادو رجل ذائع الصيت ، رجل طريف الحديث ، : بيرون

- وهو فارس الفرسان في كل مستحدث وجديد .
 لونيافيل : إذن سنجعل منه ومن كستارد^(١) الفلاح مسلاتنا ،
 وهكذا تمضي سنوات اللرس سريعاً ونزجى بهما أوقاتنا .
 (يدخل الضابط دل^(٢) حاملاً خطاباً ومعه المهرج كستارد)
- ١٨٠ دل : من منكم الأمير ؟
 بيرون : هذا السيد . وماذا تبغى منه ؟
 دل : أنا أمثل شخصه ،
 لأنى ضابط في خدمة سموه ،
 ولكنى أحب أن أرى برسمه لا باسمه .
- ١٨٥ بيرون : هذا هو .
 دل : السنيور أرما - أرما يهديك السلام
 ويقول إن الفساد قد استشرى خارج نافار . وما هو ذا
 خطابه يشرح التفاصيل .
- كستارد : أما مضمون في هذا الخطاب فيمسنى
 فرديناند : هذا خطاب من أرما دو العظيم .
 ١٩٠ بيرون : مهما يبلغ موضوعه من التفاهة ،
 فأملى أن تكون لغته بليغة .

(١) Costard ومعناه تفاحة .

(٢) Dull ومعناه الغبي .

- لونجافيل : : أمل عظيم في شيء حقير .
أهمننا الصبر يا الله . . .
- بيرون : . . . لنسمع كلامه أو لنمسك عن الضحك منه
- ١٩٥ لونجافيل : لنسمع في إقبال ونسخر في اعتدال
أو نمسك عن هذا وذاك .
- بيرون : فلنتظر إذن يا سيدى لمر ما تأتي به
بلاغة السيد أرمادو من فكاهاة .
- كستارد : مسألتي يا سيدى تتعلق بالبنت جاكنيتا ،
٢٠٠ وظروف الموضوع أنى ضبطت متلبساً شكلاً وموضوعاً .
- بيرون : على أى وجه ؟
- كستارد : يتلخص الشكل والموضوع في الأمور الثلاثة الآتية :
رأى الناس وجهى مع وجهها في الدوار .
هذا من ناحية الشكل . أما موضوعاً فقد كنا جالسين
على المقعد الكبير .
- ٢٠٥ وحين ضبطت كنت أمشى وراءها في الحديقة .
وهكذا يتفق الشكل والموضوع .
أما الشكل يا سيدى فهو شكل رجل يتحدث إلى
امرأة ،

وأما الموضوع فهو موضوع رجل يتحدث إليها في
موضوع ما

أهدا لأنك تعقبها ؟ : بيرون

نعم ، كما تتعقبن العقوبة ، : ٢١٠ كستارد

والله يحق الحق .

هلا أصغيتم جيداً لهذا الخطاب ؟ : فرديناند

كما نصغى لقارئ الغيب . : بيرون

ما أضعف الإنسان : كستارد

حين يصغى لنداء الجسد .

٢١٥

(يقراً) « أيها الخليفة العظيم ! يا ظل الله على الأرض ! : فرديناند

أيها الحاكم بأمر السماء ! يا سيد نافار بغير شريك !

يا معبود روى فى الأرض ويا مطعم جسدى ! «

لم يصل الكلام بعد إلى كستارد . : كستارد

(يقراً) هذه هى الحقيقة : ٢٢٠ فرديناند

ربما كانت هذه هى الحقيقة ، : كستارد

ولكن إذا قالها أرمادو فهو لا يقول الحقيقة .

اهدأ يا رجل . : فرديناند

فلتهدأ روى وروح كل من يخشى القتال . : كستارد

صمتاً ! : ٢٢٥ فرديناند

أتوسل إليك ألا تتحدث في أسرار الناس . : كستارد
 (يقراً) « الحقيقة أنى وقد حاصرتهى الموموم السوداء من : فرديناند
 كل جانب ،

رأيت شفاء هذا الضيق الحالك فى التماس هوائك النقى .
 ولا كنت من السادة الأشراف
 خرجت أتمس النزهة على الأقدام . وفى أى زمان كان
 ذلك ؟

٢٣٠

نحو الساعة السادسة حين يقبل الحيوان على الكلاً ،
 وتكثر الأطيوار من النقر ، ويجلس الناس إلى زادهم ذاك
 الذى يسمونه عشاء .

هذا ما كان من أمر الزمان . بعد هذا نسأل : فى أى
 مكان كان ذلك ؟

أقصد فى أى مكان كانت نزهتى ؟ فى المكان الذى
 يسمونه بجديقة الملك .

ثم الأين ؟ أعنى أين شاهدت ذلك الحدث الشائن
 السخيف

٢٣٥

الذى يستلر من قلمى الطاهر الناصع نصوع الثلوج
 هذا المداد الفاحم الذى تلحظه الآن أو تبصره أو تتمعن
 فيه أو تراه .

أما عن الأين ، أين كان المكان ؟ فهو الشمال الشرقى
شمالاً في اتجاه الشرق ،
من الركن الغربى من حديقتك ذات الأحواض المنسقة
العجيبة ،

هناك رأيت ذلك الجلف السافل ، ٢٤٠

ذلك القرموط المهرج فى بلاطك «

أنا ؟ : كستارد

« ذلك الأمى الجهول » ، : فرديناند

أنا ؟ : كستارد

« ذلك العبد التافه التفكير » ، : فرديناند ٢٤٥

أيقصلى أنا ؟ : كستارد

« واسمه على ما أذكر كستارد » : فرديناند

أنا هو ! : كستارد

« رأيتة يخرج متحدياً قانون العفة الناقد : فرديناند

الذى أصدرته للناس . رأيتة ، رأيتة يخرج ٢٥٠

مع . . . مع . . . يا لهول المصيبة . . . مع . . . «

مع بنت ، : كستارد

مع طفلة من أطفال جدتنا حواء . : فرديناند

أى بصريح العبارة : مع امرأة .

لهذا أرسلته إليك ليلقى جزاءه الرادع
 على يدي أنتوني دل ، الضابط في خدمة جلالتهك ،
 وهو رجل حسن السمعة ، حسن السلوك ، حسن
 التصرف ، محترم في عيون الناس .
 أنا هو يا صاحب الجلالة ، إذا تعطف مولاي ،
 أنا أنتوني دل

٢٥٥

دل :

« أما عن جا كنيته ، وهذا اسم المخلوقة الضعيفة ،
 فقد ألقيت عليها القبض مع هذا الجلف ،
 وهي الآن تحت يدي لتكون تحت مخالف قانونك
 المنتقم الرهيب ،
 وإذا تعطف مولاي وأوماً إلى بأقل إشارة ، قدمتها فوراً
 للمحاكمة .
 وأنا خادمك الساهر في طاعتك المتأجج القلب في أداء
 واجبك .

فرديناذه :

٢٦٠

(دون ادريانو دي ارمادو)

ليس هذا حسناً كما انتظرت ،
 ولكنه أحسن ما سمعت .

٢٦٥ بيرون :

وهو عندي أجمل وصف لأشنع فعل .
 ولكن ما قولك يا غلام في هذا الاتهام ؟

فرديناذه :

- كستارد : وأنا أعترف يا مولاي بحكاية البنت .
- ٢٧٠ فرديناند : هل سمعت بالقانون الذي أذيع ؟
- كستارد : نعم ، أعترف بأنه أذيع كثيراً ، ولكن أطيع قليلاً .
- فرديناند : لقد أعلن في الناس أن من يضبط مع بنت يعاقب بالسجن سنة .
- ٢٧٥ كستارد : أنا لم أضبط مع بنت يا مولاي . أنا ضبطت مع آنسة .
- فرديناند : هذا ما قاله القانون : من يضبط مع آنسة .
- كستارد : لأنها لم تكن آنسة يا مولاي ، بل كانت عذراء .
- فرديناند : هذا ما نص عليه القانون أيضاً : قال عذراء .
- ٢٨٠ كستارد : إذا كان الأمر كذلك ، فإني أنكر أنها كانت عذراء . لقد قبضوا عليّ مع فتاة .
- فرديناند : هذه الفتاة لن تفيدك في شيء يا سيدي .
- كستارد : بل هذه الفتاة سوف تفيدني يا مولاي .
- فرديناند : سأنتق بالحكم عليك يا سيدي :
- ٢٨٥ أحكم عليك بالصوم أسبوعاً على الماء والنخالة
- كستارد : أفضل أن أرجوك بالحكم عليّ شهراً مع اللحم والعصيدة .
- فرديناند : وسوف يكون دون أرمادوسجّانك .

هيا يا سيد بيرون ، تول أمر تسليمه للسجان .
ولنمض أيها السادة

لتنفيذ ما تعاهدنا عليه .

(يخرج الملك ولونجافيل ودومان)

بيرون : أراهن برأسي أمام الجموع ،

أن هذه العهود والقوانين سوف يسخر منها الناس .

هيا بنا يا غلام .

كستارد : أنا شهيد الحق . لأني حقيقة ، ضبظوني مع جاكنيتا ،

وجاكنيتا بنت حقاً كلها إخلاص

مرحى إذن بكأس السراء المريرة ،

فقد تبتسم لي يوماً مرة أخرى شمس الضراء ،

وحتى يأتي ذلك اليوم ، فلتسقط الأحزان .

(يخرجان)

الفصل الأول

المنظر الثاني

نفس المنظر

(يدخل أرمادو وتابعه)

- ارمادو : يا ولد ! إن رأيت رجلاً مرحباً ، أطبقتُ عليه الكآبة ،
فما دلالة ذلك ؟
- مث : دلالة عظيمة تقرأ في وجهه ، وهي الحزن .
- ارمادو : وما الحزن وما الكآبة . إنهما شيء واحد
- ٥ يا غلامى العزيز .
- مث : كلا ، ثم كلا ،
- ارمادو : وكيف تفرق بين الحزن والكآبة
أيها الشاب الرقيق ؟
- مث : بتجربة مألوفة تظهر أثر كل منهما ،
- ١٠ أيها الشيخ التليد .
- ارمادو : الشيخ التليد ؟ ولم تسميني بالشيخ التليد ؟
- مث : ولم تسميني بالشاب الرقيق ؟
- ارمادو : سميتك بالشاب الرقيق لأن هذا نعت ملائم

- ينطبق على حداثة سنك
 التي يمكن أن نصفها بالرقّة . ١٥
- م : وأنا سميتك بالشيخ التليد لأن هذا ينطبق على كبر سنك
 الذي يمكن أن نصفه بالإتلاذ .
- ارمادو : هذا جميل ودقيق .
- م : وماذا تقصد يا سيدى بقولك جميل ودقيق ؟
 أتقصد أنى جميل وكلامى دقيق ؟ أم تقصد أنى دقيق
 وكلامى جميل ؟ ٢٠
- ارمادو : أقصد أنك جميل لأنك صغير .
- م : إذن فأنا جميل صغير لأنى صغير . وفيم رأيت دقئى ؟
- ارمادو : وأنت دقيق لأنك سريع .
- م : أهذا ثناء منك على يا سيدى ؟
- ٢٥ ارمادو : نعم ، فأنت تستحق هذا الثناء .
- م : وإنى لأننى على ثعبان السمك هذا الثناء نفسه
- ارمادو : وهل ثعبان السمك سريع البديهة ؟
- م : إن ثعبان السمك سريع الحركة
- ارمادو : أنا قصدت أنك سريع الإجابة .
- ٣٠ أنت تثيرنى
- م : أنا اقتنعت ، يا سيدى

- ارمادو : وأنا أكره النقد .
- مث : (لنفسه) هذا عكس الواقع ،
فالنقد (١) يكرهه .
- ٣٥ ارمادو : لقد وعدت أن أدرس مع الأمير ثلاث سنوات
مث : يمكنك أن تفرغ من هذا الدرس في ساعة
ارمادو : هذا محال .
- مث : كيف يكون الواحد إذا عدُّ ثلاث مرات ؟
- ارمادو : أنا ضعيف في الحساب ، فهو يليق بصاحب الخان
٤٠ مث : وأنت سيد ومقامر .
- ارمادو : أعترف بكليهما ، فهما الصفتان المميزتان
للرجل المهذب .
- مث : إذن لا بد أنك تعرف
مجموع « دويك » في الرد
- ٤٥ ارمادو : إن مجموعهما أكثر من اثنين بواحد .
مث : أي ثلاثة بلغة عامة الناس .
- ارمادو : صدقت .

(١) في الأصل Grosses ومعناها النقود ؛ للصلبان المرسومة عليها .
واستعملنا النقد لتعارض مع كلمة النقد في حديث أرمادو وهو يقصد بها المعارضة .

٢٢ م : أهذه معضلة ؟ لقد درست العدد ثلاثة قبل أن تغمض عينك ثلاث مرات .

٥٠ أضيف كلمة سنوات إلى كلمة ثلاثة . بمتهى السهولة .
هكذا تدرس ثلاث سنوات في كلمتين .
إن أردت أن تتعلم الحساب فإذهب إلى الحصان الرياضى « مراکش »^(١) .

اربادو : هذا بيان جميل .

م : يثبت أنك صفر .

اربادو : هنا أعترف بأنى عاشق .

يقولون عيب على الفارس أن يعشق ، لذلك عشقت امرأة معيبة . .

وإذا كان امتشاق الحسام فى وجه الغرام ينجينى من هواجسه الشريرة ،

فسوف تقع الشهوة أسيرة فى يدي ،

أطلق سراحها لمن شاء من رجالات فرنسا إذا هو أدى القدية ،

(١) فى الأصل الحصان الراقص والشراح يقولون إنه يقصد حصاناً معيناً أحضره رجل اسمه بانكس فى عهد مكة إليزابيث وكان يأتى بالعجب كأن يضرب برجله ضربات تعادل عدداً ما فى جيوب الناس من قطع نقدية . حاول بعضهم أن يؤرخ المسرحية بما ورد فى التاريخ عن هذا الحصان ولكن المحاولة لم تفلح .

والقدية التي أطلبها هي درس جديد في التحية .
 أنا أحقر آهات العشاق . وسوف أسكت كيوييد
 بوابل الإيمان .

٦٠

هيا خفف عن نفسى يا غلام .

قل لى : من هم الأبطال العشاق ؟

: هرقل واحد منهم يا سيدى .

مث

: هرقل حبيبي . ومن غيره تعرف من أساتذة الغرام ؟

ارمادو

اذكر غيره ، تكلم يا غلامى العزيز ،

٦٥

ولا تذكر إلا من علا صيته واشتد احتماله .

: شمشون يا سيدى . كان شمشون رجلا شديد الاحتمال

مث

إلى حد أنه حمل باب المدينة على ظهره كالحمال .

نعم ، كان شمشون من أهل الغرام .

: أى شمشون ! يا قوى العضلات ! أى شمشون !

ارمادو

يا قوى المفاصل !

٧٠

أنت تفضلنى فى حمل الأبواب ،

ولكنى أفضلك فى حمل الحسام ! وأنا مثلك من أهل

الغرام .

حدثنى يا عزيزى مُث ، من شغل قلب شمشون ؟

- مث : امرأة يا سيدى
- ٧٥ ارمادو : وما لونها ؟
- مث : كانت لها الطبائع الأربعة^(١) . وكانت لها أحياناً
ثلاثة ألوان . .
- وأحياناً تتلون بلونين . وأحياناً كان لها لون واحد من
الألوان الأربعة .
- ارمادو : بل حدد من أى لون كانت ؟
- مث : كان لونها كالبحار الخضراء يا سيدى .
- ٨٠ ارمادو : وهل اللون الأخضر من ألوان المزاج الأربعة ؟
- مث : نعم يا سيدى ، هذا ما قرأته ، بل والأخضر أجملها
جميعاً .
- ارمادو : هذا صحيح فالأخضر لون المحبين .
- ولكن عجيب أن يتخذ شمشون لنفسه حبيبة خضراء .
- لا شك أنه عشقها لذكائها .
- ٨٥ مث : أجل يا سيدى ، فقد كان ذكائها غير ناضج .
- ارمادو : أما حبيبتي فهي بيضاء حمراء لاشية فيها .

(١) كلمة Complexion الإنجليزية تحتل معنيين الأول لون بشرتها وهو ما يقصده أرمادو والثاني مزاجها الدموي ، والبلغمي ، والصفراوي ، والسوداوي ، وهو ما يقصده مث .

- ٣٦ م٥ : وخلف هذه الألوان الطاهرة يا سيدى
تختفى أكثر الأفكار الداعرة .
- ارمادو : اشرح كلامك . اشرح كلامك يا غلامى العلامة !
- ٩٠ م٥ : يا ذكاء أبى ! ويا لسان أمى ! أنجدانى !
- ارمادو : هذا استنجاد جميل من طفل .
هو جميل وهو يهز المشاعر
- م٥ : إن كان لونها أبيض مشوباً بحمرة .
فإن أحداً لن يعرف قط ذنوبها
- ٩٥ : لأن الذنوب تبعث حمرة الحجل فى الخلود
والمخاوف يتم عليها البياض الضارب إلى الصفرة .
ولهذا فإنها إذا خافت ، أو فعلت ما يستحق اللوم ؛
فإنك لن تعرف من هذا شيئاً
لأن وجتها تحتفظان على الدوام بلون واحد
هو الذى حببها به الطبيعة .
- ١٠٠ : هذا شعر يندد بالإسراف
فى استخدام المساحيق الحمراء والبيضاء .
- ارمادو : حدثنى يا غلام : ألم تسمع بأغنية عن « الملك
والشحاذاة » ؟
- م٥ : كانت هناك أغنية بهذا المعنى منذ ثلاثة أجيال ،

- وكانت وصمة في جبين زمانها ،
ولكني أعتقد أن هذه الوصمة قد زالت .
وإذا فرض أنها لا تزال حية فإن ألفاظها وموسيقاها
لا يعبران عن عاطفتك .
- ارمادو : سأجعل الشعراء ينظمون في هذا الموضوع من جديد .
حتى أقيس غرامى الشائن بغرام ذلك الملك العظيم .
اسمع يا غلام : أنا أعشق البنت الفلاحة
التي ضببتها في الحديدقة مع ذلك الجلف الذكى
كستارد .
وهذه البنت أهل لغرامى .
- كستارد : (لنفسه) بل هي أهل للسياط .
ومع ذلك فهي خليقة بحبيب أحسن من سيدى .
- ١١٥ ارمادو : هيا ، غن لى يا غلام ، فقلبي ثقيل بأشجان الغرام .
مث : عجباً ! كيف يثقل قلبك لفتاة لا وزن لها .
- ارمادو : قلت غن
مث : فلنمسك عن الغناء حتى ينصرف القادمون .
(يدخل الضابط دل ، وكستارد ، والبنت جا كنيئا)
- دل : يا سيدى ، بأمر الملك احبس كستارد ،
واحبس عنه كل متعة ، بل احبس عنه متعة التفكير ،
- ١٢٠

ولكن عليه أن يصوم ثلاثة أيام كل أسبوع .
أما هذه الأنسة ، فإن عليّ أن أحبسها في الحديقة ،
لتساعد حالة الابن .

- ارمادو : الدم يصعد إلى خدي فيفضح غرامي . يا فتاة !
- ١٢٥ جاكنيتا : يا رجل !
- ارمادو : سأزورك في البيت .
- جاكنيتا : هذا ليس بعيداً .
- ارمادو : أنا أعرف مكانه .
- جاكنيتا : يا للجرأة !
- ١٣٠ ارمادو : سأقص عليك العجائب .
- جاكنيتا : أهذا صحيح ؟
- ارمادو : أنا أحبك .
- جاكنيتا : سمعتك تقول ذلك .
- ارمادو : والآن وداعاً .
- ١٣٥ جاكنيتا : صحبتك السلامة .
- دل : هيا ننصرف يا جاكنيتا .
(يخرجان)
- ارمادو : أيها الوغد ، لا بد أن تصوم تكفيراً عن جريمتك
قبل أن تنال العفو .

- كستارد : إذن فأرجو أن أصوم ، حين أصوم ،
بعد أكلة هنيئة . ١٤٠
- ارمادو : عقابك عندي أليم .
- كستارد : إني ألصق بك من جميع خدمك ،
لأن جزاءهم عندك أخف من جزائي .
- ارمادو : خذوا هذا الوغد وألقوا به في السجن .
- ١٤٥ م : هيا أيها العبد المجرم . إلى السجن .
- كستارد : لا تدخلوني السجن يا سيدي . إن أطلقت سراحى
صمت عن الطعام .
- م : كلا يا سيدي ، إن ذلك يكون منا خيانة ،
لابد من حبسك .
- كستارد : لو رأيت ما قد رأيت من أيام الهناءة
فسوف يرى الغير منى ١٥٠
- م : وماذا يرى الغير منى ؟
- كستارد : لن يرى غير ما يقع بصره عليه ، يا سيد مُث .
إن الصمت ليس من شيم السجناء ،
ولهذا سوف أكف عن الكلام .
- ١٥٥ : والحمد لله إن صبرى قليل كصبر غيرى من الناس .
ولهذا أستطيع السكوت .
(يخرج مث وكستارد)

اربادو : أنا أعشق الأرض التي تمشي عليها ، وهي دنيئة ،
الأرض التي يطؤها حذاؤها ، وهو أدنأ ،
كلما تحركت في حذائها قدمها ، وهي أدنأ من هذه
وتلك ،
سأقلع عن الهوى إن كنت أحب ، وهو أكبر دليل
على كذبي . ١٦٠

وكيف يكون الحب صادقاً إذا كان طريقه كاذباً ؟
الحب شيطان يلازم الإنسان ، الحب إبليس ،
وليس بين ملائكة السماء ملاك شرير إلا ملاك الحب .
ومع ذلك فقد أذل الحب شمشون ، وهو القوى الجبار .
وفتن الحب قلب سليمان ، وهو أحكم الحكماء . ١٦٥

إن سهم كيوييد المثلث لأقوى من هراوة هرقل ،
فهو من باب أولى أقوى من السيف الإسباني .
والسبب الأول والثاني ، من الأسباب التي تدعو
إلى المبارزة ، لن يكفياني .
كيوييد غلام جموح : هو لا يكثر بأسباب القتال ،
وهو لا يعرف أصول المبارزة ، فهو لا يعبأ بقواعد
النزال . ١٧٠

أكبر عار له أن تدعوه بالغلام ، ولكنه يفخر بأنه
يصرح أعظم الرجال .

وداعاً إذن أيتها الشجاعة ! وأنت يا حسام ! اصداً
في جرابك !

اصمتي يا طبول الحرب على الدوام ، فقارعك قد وقع
في شرك الغرام .

نعم ، هو عاشق وطمان . ألهمني يا إله القريض فإني
أوشك أن أرتجل القصيد !

تفتق يا خيال ، واكتب يا قلم ، فني قلبي مجلدات

من الشعر !

(يخرج)

الفصل الثاني

المنظر الأول

(تدخل أميرة فرنسا ، ومعها وصيفاتها الثلاث ، ماريا وكاترين وروزالين ، ومعهن بوييت ونفر من الأشراف وأتباعهم)

بوييت : والآن يا سيدتى ، استجمعى أعظم ما وهبت من ذكاء ،
وتدبرى من ذا الذى أوفده أبوك الملك رسولا عنه ،
وإلى من أرسل هذا الرسول ، وما رسالته .

أنت هذا الرسول الذى يجله كل من فى العالم ،
وقد جئت لتفاوضى الرجل الذى اجتمعت له وحده
كل ما يستطيع أن يجتمع لإنسان من فضائل .
جئت لتفاوضى سيد نافار الذى لا يشق له غبار ،
جئت لتطلبى « آكويتين » الغالية مهراً للملكة غالية .

كونى إذن سخية بالأفضال

كما سخت عليك الطبيعة بالجمال ،

حينما حرمت منه جميع الأنام ،

وأغدقته كله عليك وحدك .

الأميرة : أيها السيد الكريم بوييت . إن جمالى هذا القليل

لا يحتاج منك كل هذا الإطراء المنمق .

إنما تعرف قدر الجمال العيون الفاحصة ،
 فهو ليس سلعة خسيصة تنادى بها ألسنة التجار .
 فاعلم إذن أن فخري حين أسمعك تطرى بهأى
 أقل من حرصك الشديد على أن يقر الناس لك بالذكاء
 حين يتفتق ذكائك هذا في الثناء على . والآن فلنبحث
 عن عمل ذلك الذى يريد أن يعلمنا ما نعمل . أيها السيد
 الكريم بوييت ،
 أنت لا تجهل أن الشائعات تجرى على كل لسان
 خارج البلاد

٢٠

بأن ملك نافار قد أخذ على نفسه عهداً
 ألا تزعج امرأة سكون بلاطه ،
 حتى تنصرم ثلاث سنوات من الدرس المضى .
 لهذا يبدو أنه لا بد لنا
 قبل أن نجتاز أبوابه المحرمة ، أن نعرف مراده .
 ولهذا الغرض قد اخترناك ،

٢٥

واثقين من قدرتك ،
 لتكون المتحدث البليغ بلساننا .
 قل للملك أن بنت ملك فرنسا
 قد جاءت تطلب قضاء أمر عاجل خطير ،

٣٠

وهي تبغى الاجتماع شخصياً بجلالته .
 هيا ، أسرع ، واحمل إليه هذا الكلام ، ونحن هنا
 وقوف

في انتظار أمره العالى ، وقوف السائل الخاشع .

٢٥ بوييت : هذا شرف عظيم . إني ذاهب بكل سرور .
 (يخرج بوييت)

الأميرة : كل ما نفعله برضا يشرفنا وهذا شأنك الآن .
 والآن ، أى سادتى الأوفياء ، من يكون هؤلاء النساك
 الذين أقسموا

مع هذا الملك الصالح أن يشاطروه عناء الدرس ؟

السيد الأول : السيد لونجافيل أحدهم .

الأميرة : أتعرفين هذا السيد ؟

٤٠ ماريا : نعم ، يا مولاتى . أعرفه ، فقد رأيت لونجافيل هذا

يوم أن احتفل فى نورمنديّة

بزواج السيد النبيل بريجور^(١)

بالغادة الفاتنة وريثة جاك فالكونبريدج .

وهو رجل شهر بسمو شمائله ،

(١) الأسماء هي Lord Perigort, Jaques Falconbridge

فهو نابغ في الفنون وهو نابغ في الحروب ،
 لا شيء يشنيه إذا حسنت نيته في عمله
 ولا تشوب فضائله الناصعة ،
 إن كان يمكن للشوائب أن تشوب الفضائل الناصعة .
 إلا شدة في الذكاء لا يعبا معها بشعور غيره .
 وقد بلغ من حدة ذكائه أنه يمزق كل إرادة تقف في
 سبيله ويسحق كل ما يقابله .
 فذكاؤه حاد يمزق كل شيء وإرادته قوية لا ترحم
 من يقع تحت سلطانه .

٥٠

الأميرة : يبدو أنه سيد مرح ساخر . أهذا ما تقصدين ؟
 ماريا : هذا ما يقوله أكثر الناس علماً بطبعه .
 الأميرة : مثل هذا الذكاء القصير الأجل يذبل قبل أن ينضج .
 ومن يكون السادة الآخرين ؟
 كاترين : الفتى دومان ، وهو شاب مهذب أحسن التهذيب ،
 فهو يحب الفضيلة لذاتها .

٥٥

له من القوة ما يستطيع أن ينشر به الشر والأذى ، وإن
 كان لا يعرف للأذى معنى .
 وله من الفطنة ما يبدو معه الشر خيراً .
 ويكسب الشيء جمالاً ، وإن كان جمالاً لا بعقل له .

٦٠

رأيت ذات مرة في قصر الدوق ألسون ،
 فرأيت من فضائله العظيمة
 ما يقصر بياني عن وصفه لمولاتي .

روزالين : وإذا كان ما سمعته صحيحاً

٦٥ فقد كان مع الملك في آخر ممن يطلبون العلم ،
 واسم هذا الفتي بيرون . ولم أقض قط ساعة
 مع إنسان أكثر منه مرحاً .

ولكن مرحه لا يتجاوز الحدود أبداً .

وإن عينه لتخلق أسباب دعابته ،

٧٠ فكل ما تقع عليه تلك تجعل منه هذه فكاهة

يجرى بها لسانه الحلو

في أجمل كلام وأرشق عبارة .

وقد بلغ من فيض سحره

أن الشيوخ يتركون أعمالهم

ليستمعوا إلى قصصه ،

٧٥

أما الشباب فيفتنهم بحديثه العذب السلس .

الأميرة : بارك الله في سيداتي ، فهن جميعاً عاشقات ،

وكلُّ تدبج لرجلها أجمل آيات الثناء ،

وتحليته بلرر الإطراء .

السيد الأول : ها هو ذا بوييت قادم علينا
(يدخل بوييت)

٨٠ الأميرة : كيف استقبلت يا سيدى ؟

بوييت : إن ملك نافار قد علم بقدمك السعيد
وقد كان يتأهب مع من اشتركوا معه فى قسمه
للقاء سيدتى الكريمة قبل أن آتى إلى هنا .

وقد علمت من نوايا الملك
أنه يريد منك أن تقيمى فى الحقول خارج قصره .

كأنما جئت لتحصرى بلاطه ،
بدلاً من أن يلتبس التحلل من قسمه
فيدعوك إلى قصره الخالى من الخدم والحشم .
ها هو ذا ملك نافار مقبل علينا .

(يدخل فرديناند ملك نافار ولونجاويل ودومان وبيرون وأتباعهم)

٩٠ فرديناند : أى سيدتى الجميلة ، أهلاً بك فى بلاط نافار .

الأميرة : الجمال أردته عليك يا سيدى ، أما حلولى بالبلاط
فلم يتم بعد . إن سقف هذا الفناء رفيع لا يناسبك ،
وحلولى بهذه الحقول الواسعة حطة لا تابق بى .

٩٥ فرديناند : أنت على الرحب والسعة فى بلاطى .

الأميرة : إذن فأنت ترحب بى حقاً ! هنا ، أرنى الطريق .

فرديناند : أيتها السيدة العزيزة ، استمعي إلى مقالي . أخذتُ على نفسي عهداً .

الأميرة : وسوف تنكث بالعهد ، فلتسامحك العذراء .

فرديناند : كلا ، ولو أعطيت ملك الدنيا يا سيدتي الجميلة لن أنكث بالعهد راضياً .

الأميرة ١٠٠ : إن إرادتي ستتغلب على يمينك ، ولا شيء غير هذا .

فرديناند : إن سيدتي تجهل موضوع القسم .

الأميرة : لو أن سيدى جهله كذلك لأصاب من الجهل حكمة . أما الآن فحكيمته ستمنح عن جهالة .

نعم ، سمعت أن جلالتك قد أقسمت أن تتخلي عن كرم الضيافة .

١٠٥ وعندي أن حثك بهذا القسم خطيئة ،

ولكن وفاءك به خطيئة أعظم .

غير أنني أطلب عفوك يا سيدى ،

فقد اجترأت عليك دون تريث ،

وما كان لى أن أعلم معلماً مثلك .

والآن تعطف يا سيدى واقراً سبب مجيئى ،

واستجب لمطلبي فوراً .

١١٠

فرديناند : سأفعل ذلك يا سيدتى ، إن عرفته فوراً .

- الأميرة : سوف تتمنى رحيلي فوراً ،
فلو أنك استبقيتني لحشت بقسمك .
بيرون : ألم أرقص معك مرة في برابانت (١) ؟
١١٥ روزالين : ألم أرقص معك مرة في برابانت ؟
بيرون : نعم ، أنا متأكد من ذلك .
روزالين : سؤالك إذن في غير محله .
بيرون : بديهتك سريعة فاكبحيها .
روزالين : أنت الذي لكزتها بأستلتك .
بيرون : ذكائك ملتهب . ذكائك راقص بغير زمام ، ولن
يلبث أن يكل
١٢٠ روزالين : ولن يكل حتى يلقى براكبه في الرغام .
بيرون : كم الساعة الآن ؟
روزالين : الساعة التي يجب أن يسأل عنها الحمقى .
بيرون : والآن ، بورك في قناعك .
١٢٥ روزالين : بل بورك في الوجه الذي يخفيه .
بيرون : وليأتك كثير من العشاق .
روزالين : آمين ، على ألا تكون أنت منهم .

(١) = Brabant = برابانت .

- بيرون : إذن سأصرف .
- فرديناند : يا سيدتى ، إن أباك يقول هنا
بأنه قد أدى مائة ألف كراون ، ١٣٠
- وهى لا تزيد على نصف ما أنفقه أبى فى تمويل حروب
أبيك .
- فاعلمى إذن أن هذا المال لم يصل إلى يد أبى ،
فإذا سلمنا أنه أخذه أو أنى أخذته –
وأقول هذا لأن أحداً منا لم يأخذه –
- ١٣٥ فإنه يبقى إذن مائة ألف أخرى لم يتم أداؤها لنا .
وهى التى أخذنا نصف ولاية آكويتين ضماناً لها ،
وإن كانت آكويتين لا تساوى كل هذا المال .
- فإذا شاء أبوك الملك أن يرد لنا
ذلك النصف الآخر الباقى فى ذمته ،
نزلنا له عن حقنا فى آكويتين ، ١٤٠
وتعاهدنا على الصداقة مع جلالته .
- ولكن يبلو أنه لا ينوى
أن يفعل من ذلك شيئاً ،
فهو هنا يطلب رد مائة ألف كراون ،
ولا يعرض الوفاء بمائة ألف كراون ١٤٥

مقابل استرداد حقه في آكويتين ،
وهي ولاية كم نحب أن ننزل عنها
وأن نسترد المال الذي أقرضه أبي لأبيك
بدلاً من آكويتين هذه الممزقة على هذا الوجه .
فيا أيها الأميرة العزيزة ! لو أن أباك لم يتجاوز حدود
العقل فيما يطلب ،

١٥٠

لتجاوزت أنا حدود العقل
فما أعطى إكراماً لجمالك ،
لتعودى إلى بلادك فرنسا راضية مرضية .

الأميرة : إنك تسيء إلى أبي إساءة بالغة ،

وتسيء كذلك إلى سمعتك ،

١٥٥

حين يبدو منك أنك تنكر أخذ المال
الذي رد إليك بأمانة تامة .

فرديناند : بل أؤكد لك أنى ما عرفت بذلك ،

ولو أقمت الدليل على ما تقولين

لأعدت إليه ماله أو أعدت إليه آكويتين .

١٦٠

الأميرة : ونحن نأخذك بوعدك : أنت يا بوييت تستطيع

أن تبرز الوثائق التى تثبت وفاءنا بهذا المال

لموظفى أبيه الملك شارل ، المعينين لهذا الغرض .

- فردیناند : إلى بالدليل .
- بوییت : أمهلني يا مولاي ، إن الأوراق
١٦٥ التي تثبت هذا وسواه لم تصل بعد .
غداً تراها .
- فردیناند : وأنا أكتفي بهذا . وحين نلتقي
سوف أقبل كل ما تعرضين من حجج ،
وإلى أن يأتي الغد ،
١٧٠ اقبلي مني كل ترحاب يليق بشخصك الكريم ،
كما يقضى الشرف وبما لا يندش الشرف .
لن تدخلني يا سيدتي الجميلة باب قصرى ،
بل سيكون استقبالك هنا خارج الدار ،
بحيث ترين أنك ساكنة في قلبي ،
١٧٥ وإن كنت قد حرمت السكن في دارى .
وإني لأطمع في عفوك فأنت صاحبة نفس خيرة وعقل
راجح .
الوداع إذن ، وغداً سوف نزورك مرة أخرى .
- الأميرة : أوتيت أحسن الصيحة وأبهج الأفكار يا صاحب الجلالة!
فردیناند : وأنا أتمنى لك أيما حللت كل ما تتمنيه لى .
(يخرج)

- ١٨٠ بيرون : وأنا أسكنك في قلبي يا سيدتي .
 روزالين : إذن فأرني مسكني ،
 فإنه يسرني أن أراه .
 بيرون : لبتك سمعت أتينه .
 روزالين : أهو مريض ؟
 ١٨٥ بيرون : في الشغاف وفي النياط .
 روزالين : وأسفاه . دعه إذن يدهي
 بيرون : أفي هذا شفاؤه ؟
 روزالين : نعم ، في طب الغرام .
 بيرون : أتجرحينه بعينك ؟
 ١٩٠ روزالين : كلا . لا بد من الميضع .
 بيرون : حفظ الله حياتك
 روزالين : وحفظ حياتك من طول البقاء !
 بيرون : سأمضي إذن ، فعمري لن يتسع للشكر .
 (يبتعد)
 دومان : كلمة واحدة يا سيدى . من تكون هذه السيدة ؟
 ١٩٥ بوييت : اسمها كاترين ، وهي وارثة دوق ألنسون .
 دومان : إنها سيدة نبيلة . الوداع يا سيدى .

(يخرج)

لونجافيل : أرجوك أن تستمع إلى كلمة مني ؟ ذات الرداء الأبيض ،
من هي ؟

بوييت : هي امرأة ، إذا تمعتها جيداً في النور .

لونجافيل : ربما كانت نزقة إذا أبصرتها في النور . أنا أطلب اسمها .

بوييت : اسمها لشخصها ، فإن طلبت اسمها طلبت شخصها .

٢٠٠ وهذا يجلك بالعار .

لونجافيل : بنت من هي ، يا سيدي ! قل لي من فضلك .

بوييت : بنت أمها . هذا ما يقولون .

لونجافيل : عيب على لحيثك هذا الكلام .

بوييت : لا تغضب يا سيدي الكريم .

٢٠٥ هي وارثة فالكونبريدج (١) .

لونجافيل : الآن ذهب غضبي ،

إنها آية في الجمال .

(يخرج لونجافيل)

بوييت : ليس هذا بيعيد ، قد يكون

بيرون : وما اسم هذه السيدة

٢١٠ بوييت : اسمها روزالين . لحسن الحظ ؟

(١) فالكونبريدج = Falconbridge

- بيرون : أمتروجة هي أم غير متروجة ؟
 بوييت : متروجة من نفسها يا سيدى ، أو شىء من هذا القبيل
 بيرون : أهلا بك يا سيدى . وأستودعك الله
 بوييت : اتركنى فى أمان ، مرحباً بفراقك
 (يخرج بيرون)
 ماريما : هذا الأخير هو بيرون . وهو السيد الطروب ذو
 الرأس الملىء

٢١٥

- كلامه كله مزاح .
 بوييت : ومزاحه كله كلام .
 الأميرة : حسناً فعلت حين تحدثت إليه على طريقته
 بوييت : كلما أمعن فى هجومه أمعنت فى صده .
 كاترين : تالله لقد كنا كشاتى رهان .
 بوييت : بل كسفيتين تتحاربان .
 يا حملى الصغير . ما نحن بالكباش إلا إذا طعمنا
 من شفتيك .

٢٢٠

- كاترين : أنتم الكباش وأنا المرعى . أهذا يضع حداً للمزاح ؟
 بوييت : نعم إذا أطعمتنى .
 (يتقدم لتقبيلها)
 كاترين : مهلا ، مهلا ، أيها الحيوان الظريف .

- إن شفتي ليستا كلاً مشاعاً ، ولكنهما مرعى خاص .
 بوييت : خاص بمن ؟
- كاترين : خاص بي وبمن ترسله الأقدار .
- ٢٢٥ الأميرة : بهذا يقنع الطرفاء المهذبون ، أما الطرفاء المشاكسون فيمضون في النزال . لم لا تدخر هذه المبارزات الكلامية لنافار ورجاله العلماء ، فهي هنا يساء استعمالها .
- بوييت : إذا كانت فراستي لا تخطئ ، وهي قلما تخطئ فهم القلوب العاشقة حين تجيش بالبلاغة الصامته فتفصح عنها العيون الناطقة ،
- ٢٣٠ : إذا كانت فراستي لا تخطئ الآن فنافار . . . مريض .
 الأميرة : وما علته ؟
- بوييت : ما نسميه نحن العشاق : الحب .
- الأميرة : وما دليلك ؟
- بوييت : ألم تلحظيه ؟ إن كل ما له من قدرة على التعبير قد تركزت كلها في ناظريه وهي تفصح كلها عن هيامه .
- ٢٣٥ : قلبه كالباقوتة التي نقش عليها رسمك .
 وهو يزهو بهذا الطابع
 وزهوه يبدو في عينيه

فتعشّر حين حاول مسرعاً أن يسرع إلى عينه . .

بل إن حواسه الخمس تركزت كلها في بصره

حتى لا تحس إلا أروع آيات الجمال .

بل يخيل إلى أن حواسه قد حبست في عينيه

كأنها الجواهر في قمقم من بلور تعرض على أمير

ليبتاعها ،

وقد عرضت عليك وأنت أمير مترف عابر في طريقك ،

تناديك أن اشتريني .

ملامح وجهه مملأ بالعجائب ،

حتى لقد رأت كل الأعين من فرط ما تحمقان

مسحورتين .

أنا أعطيك آكويتين وكل ما يملك هذا السيد لو

أنك قبلته مرضاة لي قبلة الحبيب

ولسانه لا يطيق أن يحرم القلرة على النظرة كما هو

قادر على الكلام .

: هيا بنا إلى خيمتنا ، فبويت يميل إلى المرح .

٢٥٠ الأميرة

: لكنني حين عبرت باللفظ عما تفصح عنه عيناه ،

بويت

لم أكن إلا لسان عينيه الناطق ،

فمنحته لساناً آخر أعرف أنه لا يكذب .

- ماريا : أنت من تجار الهوى ، وكلامك كلام العارف الحبير .
- ٢٥٥ كاترين : بل هو جد كيوييد ، وهو يأخذ عنه أخبار الغرام .
- روزالين : إذن فقينوس كانت كأمها . لأن أباهها لا يعرف الغرام .
- بوييت : هل تسمعن شيئاً يا بناتي الحبيثات ؟
- ماريا : كلا لا نسمع
- بوييت : إذن هل ترين شيئاً ؟
- ماريا : نعم ، نرى طريقنا إلى الخارج .
- بوييت : أنا أقف أمامكن عاجزاً
(يخرج الجميع)

الفصل الثالث

المنظر الأول

(يدخل ارمادو ومث)

ارمادو : غن لي يا غلام ، واملاً مسامعي بشجو الغرام
مث : (يغنى)

دو ري مي فا صول لا سي دو

جاء الهوى يا عودي للعاشق المعمود

ارمادو : ما أجمل هذا اللحن . هيا يا فتى ، يا طير الشباب .
خذ هذا المفتاح وأطلق سراح العاشق الفلاح ،
أتى به على عجل ، فلا بد أن أستخدمه في حمل رسالة
إلى محبوبتي .

مث : أتحب يا سيدى أن تنال محبوبتك
برقصة فرنسية ؟

ارمادو : وكيف ذلك ؟ أتقصد أن نرقص بالفرنسية ؟

مث : كلا يا سيدى . كلا يا كامل الصفات .

١٠ بل تغنى أغنية بطرف لسانك . ثم توقعها بقدميك ،
ثم تذكها برفع جفنيك إلى أعلى . وعندئذ تنهد
بأشجى الآهات

وتششق بأعذب النغمات . فأنأ يخرج اللحن من حلقك
 كأنما كنت تبتلع الغرام وأنت تتغنى بالغرام .
 وأنأ يخرج اللحن من خيشومك ، كأنما كنت تستنشق
 الغرام وأنت تشم الغرام .
 أما قبعتك فأنت تميلها على رأسك حتى تصل إلى
 عينيك ،

وهكذا تبدو كالحيمة فوق الدكان .
 ثم تعقد ذراعيك فوق صدره بطنك النحيل كأنك
 أرنب يشوى على السفود ،
 أو تضع يديك في جيبيك تشبهاً بالعاشق في الصورة
 القديمة .
 ثم إنك لا تثبت طويلاً على نعمة واحدة ،
 بل تبدأ كل شيء ثم تعدل عنه . هذه هي الصفات
 الرفيعة .

هذه هي المظاهر التي توقع في حباتك البنات الظريفات
 اللواتي لسن بحاجة إلى شيء من كل هذا ليقعن في
 حباتك .

هذه هي السجايا التي ترفع من شأن من يتصف بها .

- هل سمعتم أيها السادة ؟ (١)
- ٢٥ ارمادو : وكيف اكتسبت كل هذه التجارب ؟
 مث : ابتعتها بخبرتي .
- ارمادو : يا ويلاه ! يا ويلاه !
 مث : لقد نسينا « حصان الملعب » .
- ارمادو : أتشبهه بحبوبي بحصان الملعب ؟
 ٣٠ مث : كلا يا سيدى . فحصان الملعب مهر صغير
 (جانباً) أما محبوبيتك فلعلها فرس عجوز .
 ولكن هل نسيت محبوبيتك ؟
 ارمادو : لقد أوشكت أن أنساها .
- مث : يا لك من تلميذ بليد . احفظها عن ظهر قلب ،
 ٣٥ ارمادو : بل أحفظها في القلب ، وعن ظهر قلب أيها الغلام .
 مث : وبغير القلب يا سيدى .
 سوف أثبت لك كل هذه الأوضاع الثلاثة .
- ارمادو : وماذا تثبت ؟
 مث : أثبت لك أنى رجل إن عشت .
 أثبت لك فوراً أن العشق يكون بالقلب وفى القلب
 ٤٠ وخارج القلب .

(١) أكبر الفطن أن مث يوجه الكلام هنا إلى النظارة . (المترجم) .

- فبالقلب تحبها لأن القلب لا يستطيع الدنو منها .
 وفي القلب تحبها لأن حبها مقيم في قلبك .
 وبغير القلب تحبها لأنك لا تستطيع أن تستمتع بها
 وأنت بغير قلب .
- ٤٥ ارمادو . أجل ، أنا هؤلاء العشاق الثلاثة في واحد .
 مث . بل أنت ثلاثة أضعاف هؤلاء الثلاثة ،
 ورغم ذلك فأنت لاشيء من هذا على الإطلاق .
 ارمادو : إلى بالفتى العاشق ، فلا بد أن أحمله رسالة
 مث : سوف تكون رسالة ملؤها الانسجام ،
 ٥٠ فحاملها حصان يكون سفيراً لعمار .
 ارمادو : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟
 مث : حقاً يا سيدى ، ينبغي أن تبعث الحمار على ظهر
 الحصان ،
 لأنه بطيء الخطو ولكنى سأنصرف .
 ارمادو : الطريق قصير . هيا عجل !
 ٥٥ مت : سيكون خطوه سريعاً كالرصاص ، يا سيدى .
 ارمادو : وماذا تقصد أيها العبقري الظريف ؟
 أليس الرصاص معدناً ثقيلاً بطيئاً سقيماً كتيب اللون ؟
 مت : حاشا ، أقصد أنه ليس كذلك يا سيدى .

ارمادو : أنا أقول إن الخطو إذا كان كالرصاص كان بطيئاً .

مث : إن قلت هذا يا سيدي فقد تعجلت .

٦٠ أتقول إن الرصاص الذي يخرج من البندقية بطيء؟

ارمادو : أنت تخفي الحقيقة بستار جميل من دخان البلاغة !

إنه يراني مدفعاً ويعد نفسه قذيفة -

هيا إذن ، فأنا أقذف بك إلى الفتي .

مث : اطلق المدفع اطلق

(يخرج)

ارمادو : يا له من فتي حاد الذكاء ، سريع البديهة ، كله نخفة

ورشاقة .

ألا فاسمحي لي أيتها السماء الجميلة أن أصعد في وجهك

زفراتي .

وأنت يا قلبي الكئيب الشقي ، تجمل بالشجاعة .

ها هو ذا رسولي قد عاد .

(يدخل مث ومعه كستارد)

مث : عجيبة العجائب يا سيدي ! لقد أتيتك بكستارد

مرضوض الساق .

ارمادو : أي لغز هذا ؟ أي سر ؟ تكلم ، ما أمر رسالتك ؟

كستارد : ليس لدى لغز ولا سر ولا رسالة يا سيدى . ليس فى
الجمعة بلسم . ٧٠

كل ما فيها هو ورقة موز مألوفة ككل موزة .
ليس فيها رسالة . كلا ليس هناك بلسم . ليس فى
الجمعة إلا ورقة موز .

ارمادو : إن فضيلتك ترغمنى على الضحك ،

وغباوتك تغضبى ، إن رثىّ تعلوان وتهيطان

فلا يسعنى إلا الابتسام ، وما أسخف الابتسام . ٧٥

عفواً يا إلهى ! إن هذا الجهول

يحسب البلسم رسالة والرسالة بلسماً .

مث : وهل يحسبه العارفون شيئاً آخر ؟ أليست الرسالة بلسماً
وسلاماً .

ارمادو : كلا يا غلام . إنها مقطوعة أو حديث

يوضح الغامض فيما سبق قوله . ٨٠

خذ مثلاً قولنا :

القرد والنحلة والثعلب ،

ثلاثة كانوا ، فلا تعجبوا .

أن الخلاف بينهم مستحكم .

هذه هى الصورة . والآن دعنى أدلك على ما تتضمنه ؟ ٨٥

مث : بل دعنى أنا أدلك على ما تتضمنه . أعد على الصورة .
ارمادو : القرد والنحلة والثعلب .

ثلاثة كانوا ، فلا تعجبوا ،

أن الخلاف بينهم مستحکم

٩٠ مث : حتى أتت إوزة تسترحم^(١) .

عندئذ عاشوا على وفاق كأنهم زوجان من عشاق .
والآن دعنى أعيد عليك الصورة ، ثم ردد أنت الختام
الذى أضفته أنا .

القرد والنحلة والثعلب .

ثلاثة كانوا ، فلا تعجبوا

أن الخلاف بينهم مستحکم .

٩٥ ارمادو : حتى أتت إوزة تسترحم

عندئذ عاشوا على وفاق . كأنهم زوجان من عشاق .

ب : هذه نهاية طيبة لأنها تختتم بالإوزة .

أتريد المزيد من هذا القريض .

كستارد : أرى أن الغلام يستغفله . إن الأوزة لا تصلح موضوعاً

للشعر .

١٠٠ إذا كانت الإوزة سمينة فقد أخذت بحمك يا سيدى .

(١) تصرف المترجم قليلاً جداً في المعنى ليوجد للبيت وزناً فيؤثر كالأصل .

إن استغفال المغفلين لا يقل براعة عن اللعب بالبيضة
والحجر .

نعم ، إن الخاتمة طيبة ، لأن الإوزة سمينة . سمينة
يا سيدى .

ارمادو : تعال هنا . تعال هنا . كيف بدأ هذا الجدل

م : بدأ حين أخبرتك أن التفاحة قد رضت ساقها ،

فسألتنى أن أدلك على خاتمة هذا الكلام . ١٠٥

كستارد : وطلبت أنا أوراق الموز . وهكذا بدأت الجدل ،

ثم أضف إلي هذا الغلام الخاتمة الطيبة

فجاءك بالإوزة التي ابتعتها ،

وهكذا انفضت السوق

١١٠ ارمادو : ولكن خبرونى كيف انشقت التفاحة فى عظم ساقها .

م : سأشرح لك الأمر شرحاً معقولاً^(١)

كستارد : أنت تحس به يا م ، دعنى أتولى أنا الخاتمة .

أنا تفاحة لما نضارة .

تجبنى النساء للعصارة

سعت ذات يوم خلف غادنى ، أطلب منها متعة كعادتى

وعندما وصلت قرب بابها سقطت لاهثاً على أعتابها

(١) فى الأصل Sensibly ولكن كستارد يفهمها بمعناها الفرعى وهو الإحساس .

- وهكذا تشققت تفاحتي (١) ١١٥
- ارمادو : لن نعود إلى الكلام في هذا الموضوع .
- م : حتى تعود إلى قصة الساق مادتها .
- ارمادو : بحق مريم العذراء يا كستارد لأحررنك .
- م : إنه يقصد أنه سيزوجني (٢) عاجراً ، إني أشتم في هذا سوء الخاتمة .
- ١٢٠ وأنتظر أن تخرج منه إوزة كنتك التي خرجت في الأغنية
- ارمادو : أقسم لك بروحي الطيبة أني سأطلق سراحك ، وأحررك من رقك . فقد كنت حبس الجدران ، مقيداً مغلولاً ، أسيراً .
- كستارد : هذا صحيح . هذا صحيح .
- ١٢٥ والآن ستحررنى وتطلق سراحى .
- ارمادو : نعم سأهبك الحرية وأعتقك من ربة الشقاء ولن أفرض عليك في نظير هذا إلا شيئاً واحداً : أن تحمل هذه الرسالة إلى الفتاة الريفية جاكنيتا . وليكن هذا جعلاً أكافئك به .

(١) تصرف المترجم قليلاً ليزن الأبيات ويحافظ على رونق الأصل .

(٢) كانت العادة أن يستبدل بلفظ Mary في القسم لفظ Marry من قبيل الاحترام

ومن هنا جاءت التورية فقد فهم كستارد أو تظاهر بأنه فهم اللفظ على أنه زواج .

لأن أقوى حارس يسهر على شرفى هوأنى أكافئ أتباعى .
هيا ، اتبعنى يا مث .
(يخرج)

١٣٠

مث : أنا أتبع سيدى كما تتبع النتيجة المقدمة . الوداع
يا سنيور كستارد .

كستارد : الوداع يا نجيل الحصر ! الوداع يا خفيف اللحم !
الوداع أيها اليهودى الظريف !
(يخرج مث)

فلأبحث الآن عن هذا الجعل .
الجعل ؟ وما الجعل ؟ إنها كلمة ضخمة يراد بها
الأجر ، بل الأجر البخس .

١٣٥

فهو إذن يريد أن يعطينى جعلاً بخساً .
أقول ما ثمن هذا الشريط ؟ فلس واحد .
ولكنه يجيب « سأعطيك عنه جعلاً » . جعل ! جعل !
يا لها من كلمة ضخمة ! تسمعها فتحسب أنك أخذت
جنيهاً ذهباً .

كلا ، كلا ، لن أبيع بهذه العملة أو أشتري .
(يلتل بيرون)

١٤٠

بيرون : يا خادى الطيب ! مرحباً بك .

- كستارد : قل لي يا سيدى : كم شريطاً وردياً
أستطيع أن أشتريه يجعل ؟
- بيرون : وما الجعل ؟
- ١٤٥ كستارد : ثلاثة دراهم يا سيدى .
- بيرون : تستطيع إذن أن تشتري حريراً بثلاثة دراهم .
- كستارد : أشكر سيدى . وأتركك في حفظ الله .
- بيرون : مهلاً ، أيها العبد ! سأكلفك بعمل .
- فإذا أردت أيها الوغد الطيب أن تكسب حبي
- فاقض لي حاجة واحدة أرجو أن تقوم بها .
- ١٥٠ كستارد : ومتى تريد قضاءها ؟
- بيرون : عصر اليوم .
- كستارد : حسناً يا سيدى ، سوف أقضيها لك . وداعاً .
- بيرون : ولكنك لا تعرف ما هذه الحاجة .
- ١٥٥ كستارد : سأعرفها بعد أن أقضيها .
- بيرون : بل لا بد أن تعرفها أولاً أيها اللعين .
- كستارد : سأعود إلى سيدى غداً صباحاً .
- بيرون : ولكن حاجتى يجب أن تقضى عصر اليوم .
- استمع إلى أيها اللعين . الأمر بسيط
- وهو أن الأميرة سوف تأتى إلى هذه الحديقة للصيد ،
- ١٦٠

وفى معيتها سيدة ظريفة
اسمها من أجمل ما تنطق به الألسنة ،
فهم يسمونها روزالين . سل عن هذه السيدة
وضع في يدها البيضاء هذا الخطاب المختوم .
خذ هذا مكافأة لك . هيا انصرف .

١٦٥

كستارد : ما أجمل هذه المكافأة . نعم ، المكافأة خير من الجعل ،
خير منه بأحد عشر بنساً ودرهماً فوقها ما أطيب هذه
المكافأة .
سوف أحمل رسالتك يا سيدى . سأنفذ كل شىء
بمنتهى الدقة .

تباً للجعل ولتحيا المكافأة .

١٧٠ بيروت : واهالى ! إني عاشق بحق !

أنا الذى كنت حربياً على الحب ،
أنا المنتقم من كل عاشق متأوه .
أنا الذى كنت أترصد للغلام كيوييد ترصد الناقد ،
بل ترصد الشرطى الذى يسهر الليل ليذب اللصوص .
أنا الذى لم يكن يطاولنى أحد فى كبريائى !
لقد أصبحت ذليلاً أمام هذا الغلام
المعصوب العينين الكليل البصر الكثير الآهات ،

١٧٥

هذا الصغير الكبير والقزم العملاق كيوييد .
 رب القوافى التى تدبج فى نجوى الغرام ،
 ومولى العشاق اليائسين الضارعين ،
 الملك المتوج فى دولة الزفرات والأثبات ،
 سيد المتسكعين الحاملين والعباسين الساخطين ،
 أمير النساء وملك الرجال ، وهو القائد الأعلى لعسس
 الآداب !

واحر قلباه ! لقد أصبحت ضابطاً فى جيش كيوييد .
 أزدان بألوانه كأننى الطوق الملون فى يد مهرج ،
 يا للمنكر . أيقع مثلى فى شرك الغرام .
 أخطب مثلى ود النساء ، أبحث مثلى عن زوجة ،
 وما الزوجة إلا التى لا تنفك تفسد وتطلب الإصلاح
 كالساعة الألمانية ،

ومع ذلك فهى لا تنصلح أبداً :
 إن تركتها تضبطك اعوج سيرها ، ولا بد من ضبطها
 حتى تستقيم !

بل أفضح من كل هذا أن أخون العهد ،
 ومن هؤلاء البنات الثلاث لا أتيمم إلا بأسوتهن جميعاً .
 الغانية اللعوب طلعتها شاحبة وجبينها ناعم كالمخمل ،

وفى وجهها استقرت كرتان من القار الأسود مكان
العينين .

أجل ، بنت تعرف طريقها إلى الفراش
ولو كان حارسها كيوييد يريد أن يطلقه على أرجوس^(١) .
وهأنذا تذهب نفسى حسرات من أجلها !
وهأنذا أفتش عنها ! وأتمناها لنفسى ،
وامصبيتاه ! إنه وباء لأنى لم أعبأ لصولته هذه الصغيرة
الرهيبة الجبارة .

فلسوف أحب : وأنظم القريض ، وأملأ الدنيا بالزفرات .
سوف أصلى لها ، وأعرض قلبى عليها ، وأرسل فى حبها
الأنات .

وإذا كانت أبخس فلاحه تجد من يبسها نجوى الغرام ،
فمن حق السيدة العظيمة أن تجد العاشق الوطن .

(١) أرجوس حارس إيود ، ويقال عنه إن له مائة عين .

الفصل الرابع

المنظر الأول

(تدخل الأميرة وماربا وكاترين وروزالين وبوييت وفقر من النبلاء
والأتباع وحارس الغابة)

- الأميرة : أكان الملك هو هذا الذي شاهدته .
يلكز جواده لكزاً عنيفاً ليصعد به التل صعب المرتقى ؟
الحارس : لا أدري ، ولكني أرجح أنه لم يكن الملك .
الأميرة : أيّاً كان ذلك الراكب ، فقد بدا أنه يجيد الركوب .
اسمعوا يا سادتي سوف نقضى اليوم ما جئنا من أجله ،
ثم نعود يوم السبت إلى فرنسا .
والآن يا صديقي الحارس ،
دلنا على الشجيرة التي نخفي وراءها لنصطاد .
الحارس : ها هنا . عند حافة ذلك الحرج ،
فهو أجمل مكان لأجمل رماية .
الأميرة : وأنا أحمد الله على جمالي فأنا رامية جميلة
ولهذا تنطلق منك أجمل الألفاظ .
الحارس : عفواً يا سيدتي . أنا ما قصدت إلى هذا .
الأميرة : ما هذا ؟ أتملحنى ثم تعدل عن مدحى .

ف ؛

٧٤

ألا ما أقصر أجل فخري ! أأست جميلة . واحسرتاه !

١٥

الحارس : بلى يا سيدتى أنت جميلة .

الأميرة : لا . لا . لا تصفنى بعد الآن .

فحيث لا يوجد الجمال فإن الثناء لا يصلح الوجه .

وأنت يا مرآتى الصادقة ! خذ هذا نظير صدقتك ،

وإذا جوزى قبيح الكلام طيب الجزاء كان هذا أكثر

مما يستحق .

٢٠ الحارس : بل كل ما تملكين جميل .

الأميرة : انظروا . انظروا ! هكذا خلص أن جمالى سيصونه

جميل الصفات !

هكذا اقتحمت الزندقة دولة الجمال ،

ولا غرو فنحن نعيش فى عصر زنديق !

إلى بالقوس . إن الرحمة تنطلق لتقتل ،

فإن أصابت الهدف قالوا : أساءت

٢٥

وهكذا أحتفظ بقدرى فى هذه الرماية :

فإن لم أصب فريستى ، فذلك لأن الرحمة تأبى على

أن أصيبها .

وإن أصبها ، فذلك لأنى أحب أن أظهر مهارتى ،

لا كلفاً منى بالقتل ، ولكن طمعاً منى فى الثناء .

وهذا بلا جدال ما يحدث في بعض الأحيان .
 فطالب المجد ينخضب نفسه بالجرائم النكراء .
 وذلك حين تسهونا الشهرة والإعجاب ،
 وهما شيثان عارضان ، فتجدنا نخفق في سبيلهما نداء
 القلب .

٣٠

أو ليس هذا ما أفعل أنا الآن حين أسعى إلى سفك دم
 هذا الغزال البريء
 لا لشيء إلا لأنال إعجابكم ، فقلبي لا يريد به سوءاً .

٣٥

بوييت : ومن أجل الإعجاب وحده
 ألا تسعى الزوجات الناشزات إلى طلب السيادة
 حين يبغين أن يسودن على سادتهن .

بوييت

الأميرة : نعم ، من أجل الثناء وحده .
 وإن علينا أن متمدح كل امرأة تخضع لها رجلا .
 (يدخل كشارد)

الأميرة

٤٠

بوييت : ها هو ذا مواطن في الجماعة قادم علينا .

كشارد : طاب مساؤكم جميعاً .

من منكن رأس هذه الجماعة ، يا سيداتي ؟

الأميرة : ستعرفها يا فتى لأن الأخریات

بغير رؤوس

٤٥

- كستارد : من أكبر كن ؟ من أعلا كن ؟
- الأميرة : أكبرنا أسمنتنا ، وأعلانا أطولنا .
- كستارد : إذن فهي أسمنهن وأطولهن ! هذه هي الحقيقة ،
والحقيقة هي الحقيقة .
- ٥٥
- لو كان خصرك يا سيدتي نحيلاً كعقلي
لوجدت زنار هؤلاء البنات في حجم خصرك .
ألست السيدة الأولى هنا ؟
أنت أسمن الموجودات .
- الأميرة : ماذا تبغى ، يا سيدى ؟ ماذا تبغى ؟
- كستارد : معى رسالة من السيد بيرون موجهة إلى سيدة تدعى
روزالين .
- ٥٥
- الأميرة : هات الرسالة . هات الرسالة . إن صاحبها من أصدقائى
المخلصين .
- تنح قليلاً أيها الرسول الكريم . وأنت يا بوييت تقن
التقطيع ،
فافتح لى هذه الرسالة . هيا افتحها .
- بوييت : خادمك المطيع .
- إن هذه الرسالة قد ضلت السبيل فهي لا تخص أحداً
هنا ،

بل هي مكتوبة لجاكتينا .
 ٦٠ الأميرة : فلنقرأها . أقسمت أن نقرأها .
 اكسر الشمع واستمعوا جميعاً .
 بوييت : (يقرأ) : « أقسم بالسما إن جمالك جمال ليس فيه
 جدال .

الحق أنك فاتنة ، والحقيقة أنك حلوة .
 بل أنت أجمل من الجمال وأقن من الفتنة وأحلى
 من الحلوة .
 ٦٥ بل أنت أحق من الحقيقة . فارحمى عبدك البطل ،
 إن ملكاً كريماً شهيراً يدعى « كوفتوا^(١) »
 أتى بصره على متسولة شريرة لاشك في وضاعتها تدعى
 زينولوفون ،^(٢)

فحق فيه القول المأثور : أتيت ورأيت وغلبت ،
 وشرحها بلغة الدهماء ، (ويا ويلنا من جهالة الدهماء ومن وضاعة
 الدهماء)

٧٠ أقول تفسيرها أنه أتى ، فرأى ، فغلب ،
 أتى واحد ، ورأى اثنين ، وغلب ثلاثة .

(١) كوفتوا Cophetua .

(٢) زينولوفون Zenelophon

فماذا الذى أتى ؟ هو الملك .
 ولماذا أتى ؟ أتى ليرى . ولماذا رأى ؟ رأى ليغلب ثم إلى
 من أتى ؟ أتى إلى متسولة .
 وماذا رأى ؟ رأى المتسولة . وعلى من استولى ؟ استولى على
 المتسولة .

والنتيجة إذن هي الانتصار . انتصار الملك .
 وهكذا أثرى الأسير . ومن الأسير هنا ؟ هو المتسولة .
 بهذا وصلنا إلى قمة المأساة ، وهي الزواج . مأساة من ؟
 مأساة الملك ؟ لا بل مأساة الطرفين . اثنان فى واحد
 وواحد فى اثنين .

٧٥

وأنا هذا الملك لأنى عظيم مثله ،
 وأنت هذه المتسولة بدليل وضاعتك فهل آمرك أن
 تحببى ؟ لو أردت لفعلت .

٨٠

هل أغتصب حبك ؟ إن شئت لاستطعت .
 هل أستجدى حبك ؟ نعم . هذا ما أنا فاعله .
 وماذا ستجنين بهذا التبادل ؟ ستستبدلين بالأسمال ،
 غالى الثياب . وبالأشياء الدنيئة الألقاب العالية
 وتعطينى نفسك فأعطيك شخصى . وأنا فى انتظار
 ردك ، ألوث شفتى بقدميك

وأنجس عيني بالنظر إلى صورتك ، وأدنس قلبي بكل
قطعة من جسلك .

ودمت لك المحب الساهر على خدمتك .

دون أدريانو دي أرمادو

« حاشية » : « وهكذا تسمعين زئير الهزبر ،

وهو يهجم عليك أيها الحمل ليفترسك . . .

ولكن ملك الوحوش يتخاذل أمامك في خضوع ،

فإذا هو يلاعبك بدل أن يطاردك .

فإن قاومت فلن يكون منك أيها البائسة إلا طعاماً

يلتهمه في سورة غضبه ، وعشاء يحمله معه إلى عرينه . «

الأميرة : أية ريشة هذه التي خطت هذه الرسالة ؟ لا بد أن يكون

رجلاً أحرق

يعلن عواطفه كما تعلن الراية عن مهب الريح . هل

سمعت أجمل من هذا الكلام .

٩٥ بوييت : لقد خدعني كثيراً ، ولكني أذكر هذا الأسلوب .

الأميرة : لو أنك نسيت لكنت ذاكرتك ضعيفة حقاً . فقد

ذكرته منذ قليل .

بوييت : إن أرمادو هدام رجل إسباني يقيم هنا في البلاط ،

وهو رجل غارق في الأوهام يطلب بلاط الملوك ليرضى
غروره ،

إنه أضحوكة الأمير ورفقائه في الدرس .

الأميرة : لي معك كلمة يا فتي .

من أعطاك هذا الخطاب ؟

١٠٠ كستارد : قلت لك إن سيدي أعطاني إياه .

الأميرة : وإلى من أمرك بتسليمه ؟

كستارد : هذا خطاب من سيدي إلى سيدتي

الأميرة : من أي سيد إلى أية سيده ؟

كستارد : من سيدي الكريم النبيل بيرون

إلى سيده فرنسية يسميها روزالين .

الأميرة : لقد أخطأت في تسليم الخطاب . هيا بنا ننصرف أيها

السادة .

١٠٥

تعالى يا حبيبتى . اخفى هذا الأمر ، فسوف يأتى دورك

عما قريب .

بوييت : من الراى ؟ من الراى

(تخرج الأميرة وحاشيتها)

روزالين : أتحب أن أعلمك كيف تعرفه ؟

بوييت : أجل ، يا منبع الجمال

الرامي من بيده القوس .

أخطأت الهدف .

إن سيدتي قد خرجت لتصطاد القرون .

فإن تزوجت فسوف تنبت هذا العام من القرون قرون

صغيرة ؛ قبلما يحل الموعد .

لقد أجدت الإصابة !

إذن فالرامي أنا .

ومن غزالك؟

إذا أحطنا بطول القرون ، فخير لك أن تبعد عن مرمای .

لقد أصبت حقاً .

إذا مضيت في نزالها يا بوييت ، فسوف تصيبك في مقتل .

ولكني أصبتها في أسفل . هل أصبتها الآن ؟

هل أبدأ الهجوم بمثل قديم كان كثير التداول

حين كان بيان^(١) ملك فرنسا غلاماً صغيراً ،

وهو ذو صلة بإصابة الهدف .

أرد عليك بمثل لا يقل عنه قدماً كان كثير التداول

حين كانت جوينيفير ملكة بريطانيا بنتاً صغيرة .

(١) بيان Pepin

(٢) جوينيفير Guinever

روزالين :

١١٠ بوييت :

روزالين :

بوييت :

روزالين :

١١٥

ماريا :

بوييت :

روزالين :

١٢٠

بوييت :

وهو ذو صلة بإصابة الهدف .

روزالين : يا صاحبي لن تلمسه

لن تلمسه ، لن تلمسه ، لن تلمسه . ١٢٥

(تخرج)

بوييت : إذا لم أستطعه ، لم لم أستطعه ، لم أستطعه

لم أستطعه ، فإن غيرى يستطيع .

كستارد : الحق أقول : ما أظرف هذا الكلام . فكلاهما أدرك

القصد !

ماريا : هدف عظيم ورماية بارعة ، فكلاهما أصاب .

بوييت : نعم ، إنه هدف ، فلنستهدف الهدف . إن سيديتي

تقول إنه هدف . ١٣٠

فليت في الهدف مسماراً يثبتته حتى نسد السهم إليه

إذا أردنا .

ماريا : أراك ابتعدت عن الهدف نحو اليسار . أجل . يدك

خرجت على المدار .

كستارد : هذا صحيح . إذا لم يقترب الإنسان من الهدف فلن

يصيب المسمار الذى فى وسطه .

بوييت : وإذا كانت يدي قد خرجت عن المدار فلا بد أن يدك
قد دخلت فيه .

كستارد : إذن ستفوز عليك السيدة إن هي أصابت المسبار
ففلقته ؟

١٣٥

ماريا : كفى . كفى . إن كلامك يخرج عن حد الأدب . إن
شفتيك قد أخذتا تلوثان .

كستارد : إنها أقوى منك في رماية المسامير . لاعبها إذن بالكرة .

بوييت : أنحشى كثرة الاصطدام . طاب مساؤك أيتها البومة الطيبة .
(يخرج بوييت وماريا وكاترين)

كستارد : أقسم أن هذا خادم رينى ! يا له من مهرج ساذج !

١٤٠

يا إلهى ! يا إلهى ! لقد أخرسناه ، أنا والسيدتان .

حقاً ما أمتع هذه النكات ! نعم ما أمتع هذه الفكاهة

الرخيصة حين تناسب فى لطافة ،

بل فى قدارة ، بل فى دعارة ، وتصيب الهدف .

ثم هناك أرمادو ، وهو رجل أمتع من المتعة !

تنشرح له العين حين تراه يخطأ أمام سيدة حاملا

مروحتها !

بل حين تراه يقبل يده بدلا من أن يقبل يدها . نعم

أقسم إنه منظر يشرح الصدر .

١٤٥

ثم هناك تابع أرمادو . إنه كتلة من غباء !
أيها السماء ! بل هو حشرة تافهة يتفطر لها قلبي !

سولا ، سولا

(يسمع من الداخل صوت من صراخ الصيد والقنص)

(يخرج كستارد)

الفصل الرابع المنظر الثاني

(يدخل هولوفرنيز والقس ناثانيل ودل)

- ناثانيل : الصيد بلا جدال رياضة التقوى والصلاح ،
يباركها الضمير الذي يخاف الله .
- هولوفرنيز : كانت الغزالة الصغيرة كما تعلم غاية في القوة والنشاط
ناضجة كأنها التفاحة تتلى كالجوهرة من أذن الجوزاء ،
والجوزاء هي الجواء ، والجواء هي الفضاء ،
والفضاء هو السماء ، ثم تسقط سريعاً سقوط التفاحة
البرية على وجه البسيطة ،
أعني التربة أو الثرى أو الأرض .
- ناثانيل : حقاً يا أستاذ هولوفرنيز إن الصفات التي تسوقها
صفات جميلة
- لأنها متعددة وأقل ما يقال فيها إنها تليق بالعلماء .
ولكني أؤكد لك أن القنيصة لم تكن غزالة صغيرة بل
ظبياً فحلاً كامل النماء .
- هولوفرنيز : تا الله يا سيدنا ناثانيل لا أصدقك .

دل : لم تكن هي تالله ، بل كانت ظيباً أحمر عمره سنتان .
هولوفريز : هذا كلام يدل على الجهل المطبق .

ومع ذلك فهو لون من السفسطة ساقه صاحبه « من باب »
أجل من باب التفسير ، أى كما يقول الأولون من باب
المعارضة ،

١٥

أو على الأصح من باب الفهقة لإظهار علمه الغزير .
فهو يتشدد بقولى « تالله » فى وصف الغزاة ،

وهو الأمى العاقل من كل علم أو تربية أو دربة
أو حلية مما يتحلى به الإنسان

أو صقل أو تهذيب أو تشذيب .

٢٠

دل : أنا قلت لم تكن « تالله » غزاة ، بل كانت ظيباً أحمر
عمره سنتان .

هولوفريز : هذه بساطة مضاعفة ضعفين ،

فهى بساطة أس اثنين . أيتها الجهالة الضارية
ما أبشع منظرك !

نانايل : اعذره يا سيدى ، فهو لم يطعم بثمار العلم التى تجنى من
صفحات الكتب ،

وهو لم يزدرد الورق ولم يجمع الحبر إذا صح هذا التعبير .
فعتله إذن ناو . وما هو إلا حيوان أعجم

٢٥

لا يحس شيئاً إلا بأعضائه القليلة الإحساس .
وهذه الأشجار العقيمة التي لا تطرح ثماراً نراها أمامنا
لنشكر الله على ما حبانا به ،
نحن أهل الذوق والشعور . من نعمة الإخصاب
والإثمار بما يرفعنا على مثله من أهل الجهالة الأغرار .
فكما أن عالماً مثلي لا يجوز له أن يستسلم للجهل
أو للحماقة أو للغرور ،

٢٠

فكذلك لا يجوز في غر مثله أن يقبل على العلم .
ولا تجدى المدرسة نفعاً في تأديبه .
ولكني أقول إن كل ما هو كائن كائن للخير .
وقد قال آباؤنا الحكماء ، أكثر الناس تعصف بهم
الرياح ولكنهم يهتمون بالنسيم .

دل : أنما من أهل الاطلاع ، فهل منكما من يجيب سؤالي :

مخلوق كان عمره شهراً عندما ولد قابيل وهو لم يبلغ
بعد خمسة أسابيع ، فما هو هذا المخلوق ؟

٢٥

هولوفرنيز : هو ديكيتينا يا صديقي دل . نعم هو « ديكيتينا »
ياصديقي دل .

دل : ومن تكون « ديكيتينا » ؟

ناتانيل : هذا اسم من أسماء « فيب^(١) » ، أو « لونا » ، أى ربة القمر فى الأساطير .

هولوفرنيز : كان عمر القمر شهراً حين كان عمر آدم شهراً ، ثم بلغ عمر آدم مائة من السنين

والقمر لم يبلغ خمسة أسابيع ،

والقياس ينطبق على قابيل كما ينطبق على آدم .

دل : هذا صحيح . فالأساس ينطبق على قابيل .

هولوفرنيز : رحم الله جهلك ! أنا أقول القياس

ولا أقول الأساس ينطبق إذا بدلنا الأسماء .

دل : وأنا أقول الدنس^(٢) ينطبق على قابيل ،

لأن القمر لا يتجاوز عمره شهراً أبداً .

وأقول كذلك إن ما قتلته الأميرة ليس غزالة بل ظبي

أحمر عمره ستان .

هولوفرنيز : أتحب يا سيد ناتانيل أن تسمع رثاء مرتجلا فى موت

الغزالة ؟

أو فى موت الظبي فإذا اسمى الغزالة التى قتلها الأميرة

ظبياً

(١) فسب Phoche

(٢) بربد الفاس .

لأرضى غرور الجهال .

نائبيل : تفضل يا أستاذ هولوفرنيز ، تفضل .

تفضل واحق سفاهة السفهاء .

٥٥ هولوفرنيز : سألجأ أحياناً إلى الجناس والسجع ، فهذا أسهل :

« ظفرت الأميرة بظبي ظريف وطعنته فظعن عن الحياة .

وقيل فحل فقلت مهلا . وهل يستفحل الطعن إلا إذا

استفحل الظبي ؟

وعلا نباح الكلاب فأيقظ القنيصة في الغاب ،

ونخرجت تقفز فأرداها القوس والنشاب . ولو لم تسقط

القنيصة لكان صراخ القانصين بغير جدوى .

وحين ينخر الظبي جريماً ويسقط طريماً تراهم يتخنونه

بالجروح ويملثونه بألف قرح .

فيا ظبي الجريح كان جرحك فريداً فأعطوك مزيداً .

كان جرحك واحداً فجعاوه ألفاً ، وهأنذا أجعل

جراحك ألف جرح وجرح ،

وما أضفت إلا جرحاً واحداً بهذه القصيدة المجروحة

يا غزالي الجريحة »

نائبيل : ما أندر هذه القريحة !

دل . هذه ليست قريحة جريحة بل قريحة جارحة كمخالب
الطيور الجارحة . ٦٥

ميلونير : هذه هبة وهبتي إياها السماء ، وهي آية في البساطة .
نعم إن السماء وهبتي روحاً حمقاء تهوى الإسراف في
الخيال ، وتزخر بالبيان وتملؤها الصور والرسوم والأشكال ،
روحاً تفيض بالأفكار والنوازع والتقلبات .
فهذه تستولد في بطن الذاكرة ، وتغذى في رحم الأم
الحنون .

٧٠ ثم تولد عندما تنضج ويحين الأوان .
ولكن هذه الهبة نعمة
فيمن يتقدها ذكائهم وإني لأشكر الله على هذه الهبة .
نانايل : وأنا أشكر الله ياسيدي لأنه حباننا بك ، ويشكر الله معي
من أراعهم في إبرشيتي . فأنت تؤدب أبناءهم فتحسن
تأديبهم ،

٧٥ أما بناتهم فهن يجنين بفضلك أطيب الثمرات ،
أنت المواطن الصالح في هذا المجتمع .

هولونير : قسماً بهرقل ! إن كان أبناؤهم على فطنة فلن يحتاجوا
إلى تعليم ،

وإن كانت بناتهم على استعداد فسأعلمهن كما ينبغي .

ولكن الحكيم من ينال الكثير بالكلام القليل
ها هي ذى روح مؤنثة تلتقى علينا السلام .
(تدخل جاكنيتا وكستارد)

٨٠

جاكنيتا : أسعد الله صباحك يا سيدنا القس
هولوفرنيز : القس الحاذق رجل بخارق . وإذا كان هنا من يجب
أن يخرق ،

فمنذا الذى يخرقه القس البخارق ؟

كستارد : هو يا أستاذى المعام أكثرنا سكرآ .

هو يا أستاذ هولوفرنيز أشبهنا بقربة النبيذ .

٨٥

هولوفرنيز : القس يخرق القربة ! إن خيالك لامع ، ولكنه يلمع
فى الأوجال .

وإن فيه من النار ما يقدح الزناد . ومن الدور ما يكفى
لأن يلقى للخنازير ،

نعم هذا كلام جميل . هذا قول بارع .

جاكنيتا : يا سيدنا القسيس ، تفضل واقراً لى هذا الخطاب

فقد جاعنى به كستارد من السيد أرمادو .

٩٠

أرجوك أن تقرأه .

هولوفرنيز : قال الشاعر : « ما أسعد طلب الماء العليل حين ترعى

الماشية فى النىء الظليل » .

ما أجمل كلامك يا منتوان^(١) !
إني لأصفك وصف الرحالة للبندقية مدينة الجمال فأردد
قول الشاعر :

« أي فينيسيا أي فينيسيا! من لم يرك لم يدبج فيك مدحاً ،
ولكن من رآك كلفه جمالك الشيء الكثير » .
أي منتوان^(١) ! يا شاعر الطبيعة والجمال .

٩٥

من لم يفهمك لم يتيم فيك حباً . دو ري مي فا صول لا
سي دو !

عفوك يا سيدى ماذا فى الخطاب ؟
بل دعنى أنشد كما أنشد هوراس من قبل :
« يا روحى . أهذا قريض ؟ »

١٠٠

ناثانيل : أجل يا سيدى ، وهو نعم القريض .
هولوفرنيز : إذن فأنشد لى فقرة أو مقطوعة أو قصيدة . هيا يا سيدى .
ناثانيل . : « إذا علمنى الحب أن أحنث فى اليمين ، فكيف
أعاهدك على حب أمين ؟

واهاً لى فليس كل إيمان مزعزع إلا ما زكا فى معبد
الجمال وترعرع .

١٠٥

(١) منتوان Mantuan شاعر إيطالى اسمه من اسم البلد الذى ولد فيه . شهر أواخر
القرن الخامس عشر وأكثر شعره فى الطبيعة .

إني وإن كنت نخوتاً لوعدي ، فسوف ترين أني
مقيم على عهدى .

وهذه خواطري أراها كالبلوطة الهائلة ، ولكنك ترينها
كالصفصافة المائلة .

فعاشقتك يهجر من أجلك درسه وصحابه ، ويجعل من
عينيك طرسه وكتابه ،

ففي عينيك من دون العيون ، اجتمع كل ما في الدنيا
من جمال الفنون .

وإذا كانت المعرفة تميز الرجال ، فحسبي أن أعرفك
يا ذات الجمال .

١١

ومن أتقن وصف هذا البهاء ، فهو أعلم العلماء .

ومن لا يهتز لروعة هذا الجمال ، فهو من أجهل الجهال .
فأنا خليق إذن ببعض الثناء ، لأنى أقدر هذا البهاء .

فقد وضع المولى في عينيك بروقه العجيبة ، وفي صوتك
رعوده الرهيبه :

لا دلالة الغضب ، ولكن أمانة الطرب ، فهي بروق
هادئة كالنسمات ، ورعود كأعذب النغمات .

١١

فيا ملاكا من السماء ! اغفري خطيئة المحب التكرأ !

وهي أنى أحبي جمالك الإلهى البديع ، بهذا القريض
الدينوى الوضيع .

هولوفرنيز : لقد أخطأت الوزن

فدعنى ألقى نظرة على هذه القصيدة :

هنا الوزن صحيح أما الطلاوة والطلاقة والإيقاع الذهبى
الذى ينبغى أن يتميز به الشعر فهذه لا وجود لها .

١٢٠

إن « أوفيد^(١) ناسو » هو سيد شعراء الغرام ، وقد سموه
ناسو لأن الناس نسوا أنه الوحيد بين الشعراء
الذى كان يشم أزهار الخيال فيعرف أيها عاطرة
ويسمع خفقات الإبداع فيعرف أيها نادرة .

أما التقليد فهو لا شىء ، إذ أن الكلب يحاكي سيده ،
والقرد يحاكي حارسه ،

١٢٥

والجواد المهك يحاكي راكبه . وأنت أيها الأنسة العذراء
أكان هذا الخطاب موجهاً إليك ؟

جاكيتا : نعم يا سيدى ، من سيد يدعى بيرون ،

وهو فى بلاط المملكة الأجنبية .

١٣٠ هولوفرنيز : سألقى نظرة على العنوان : « إلى اليد الناصعة البياض

نصوع الثلوج ، يد فاتنة الفاتنات ، السيدة روزالين . »
دعيني أتفحص مضمون الخطاب مرة أخرى

(١) أوفيد Ovid شاعر إيطاليا الأشهر .

ففيه اسم الطرف الكاتب إلى الطرف المكتوب إليه .
 وهو يقول : « وأنا خادم سيدتى المطيع فى كل رغبة
 تبديها ، بيرون »

اسمع يا سيد ناثنيل . إن بيرون هذا
 هو أحد أصفياء الملك ،

١٣٥

وهو هنا قد حرر رسالة لوصيفة فى حاشية الملكة
 الأجنبية .

وقد ضلت هذه الرسالة طريقها إما مصادفة أو بفعل
 فاعل .

هيا يا فتاتى الظريفة ، سلمى هذه الرسالة
 إلى يد جلالة الملك ، فقد يهه أمرها كثيراً .
 هيا اخطرى وانصرفى بلا توان .
 وأنا أعفئك من آداب الانصراف مع السلامة .

١٤٠

جاكنيتا : تعال معى يا كستارد ،

أطال الله حياتك يا سيدى .

١٤٥ كستارد : هيا انصرفى يا بنية .

(يخرج كستارد و جاكنيتا)

ناثنيل : لقد تصرفت فى هذا الأمر تصرف من يخشى الله .

نعم تصرفت بدافع من الإيمان الكامل . وفي هذا يقول
أحد الآباء ..

هولوفرنيز : دعنا من الآباء يا سيدي ، فأنا لا أحب التبرير الزائف .
فلنعد إلى الشعر :

هل راققتك الأبيات يا سيد ناثانيل ؟ ١٥٠

ناثانيل : أسلوبها آية في الإبداع .

هولوفرنيز : سوف أتعشى اليوم في بيت والد تلميذ من تلاميذي ،
فإن شئت أن تبارك المائدة فسوف أتوسط

بما لي من حظوة عند والد هذا التلميذ

حتى أقدمك إليه فيجعلك موضع الترحيب . ١٥٥

وهناك سوف أثبت أن الأشعار التي قرأتها

أشعار نظمها جاهل ،

أشعار ليس فيها شيء من روح الشعر

ولا من الذكاء أو الابتداع . يسرنى أن تصحبنى .

١٦٠ ناثانيل : وأنا أشكرك ، فالاجتماع كما يقول المثل المأثور

هو سر السعادة .

هولوفرنيز : وهذا القول من هذا القائل بلاشك هو الكلمة الأخيرة

في الموضوع

(مخاطباً دل) وأنا أدعوك كذلك يا سيدي ، ولن
ترفض دعوتي ،

خير الكلام ما قل ودل . هيا بنا

إن النبلاء يلهون في ألعابهم ، فلنمض نحن إلى متعتنا .
(يخرجون)

أواه ! ما أجمل عينيها ! أقسمت بهذا النور ، لولا
عيناها لما أحببتها . بل لولا عيناها الاثنتان لما أحببتها .
وأنا لا عمل لي في هذا العالم إلا الكذب ، الكذب
الصريح .

نعم ، أقسم بالسما أنى عاشق ،
وأن العشق علمنى نظم القوافى وعلم نفسى الأحزان .
وهذا بعض ما نظمت من قريض وهذا بعض ما زفرت
من أحزان .

نعم ، إن لديها الآن إحدى أغنياى : حملها المهرج
وأرسلها المغفل وتسلمتها سيدة الفؤاد .
فالمهرج حبيبي ، والمغفل أحب إلى منه ، وسيدة
فؤادى أحب إلى من الجميع .

أقسمت بالدنيا وما عليها ، لست أحفل بالثلاث
الأخريات أصابهن ما أصابنى .
ها هو ذا رجل قادم علىّ يحمل ورقة .

أسأل الله أن ييسر له زفراته

(يتحى جانباً)

(يدخل الملك حاملاً ورقة)

فرديناند : واها لي !

بيرون : أقسم بالسما ، لقد أصماه السهم ! امض في عمالك
يا كيوييد!
لقد أصبته بسهمك تحت ضلوعه اليسرى حيث يوجد
القلب .
هذه حقاً أسرار !

٢٥ فرديناند : (يقرأ) « قبلتك أعذب من قبلة الشمس الذهبية
تطبعها على ندى الصباح الذى يسيل رضابه على الوردة .
قبلتك كضياء عينيك الذى يجلو
طل الايالى حين ينهمر على خدى .
والبدر الفضى حين يسطع فى جوف البحر الشفاف
لا يدانى نور وجهك حين يخرق دموى ويضى عياني .
إن سناك ينفذ من كل عبرة تسكبها عيناى ،
وما من عبرة سكبها إلا احتوتك ،
وجرت بك على خدى ، كأنها مركبة مطهمة الجياد .
وأنت فيها الأميرة المظفرة تسعين فى موكب أحزاني .
ولو رأيت دموى الفياضة
لشاهدت غرة جمالك تلبو وسط أشجاني .
ولكن ناشدتك ألا تفتنى بجمالك

فتتخذى من دموى الجامدة مرآة لك فأضطر إلى
مداومة البكاء .

فيا ملكة الملكات ! صفاتك الحسنى

لا يحيط بها عقل ولا يحصيها بيان .

٤٠

ترى كيف أطلعها على أحزاني ؟ سوف أسقط هذه
الورقة .

أيتها الأوراق الحبيبة ، خبئى الجنون . ترى من القادم ؟
(يتحى جانباً)

من أرى ؟ لونجافيل . واعجبا ، إنه يقرأ . أصغ
يا أذنى لما يقول .

(يدخل لونجافيل حاملا جملة أوراق)

بيرون : هأنذا أرى فى شخصك مغفلا جديداً !

٤٥ لونجافيل : واهألى . لقد حثت بقسمى .

بيرون : ها هو ذا قادم علينا فى هيئة المزورين ، أوراقه على
رأسه تعلن للناس تزويره^(١)

فردينااند : أوحو أن يكون قد دخل زمرة العشاق . إننا نتآخى فى
العار ، وياله من إهزاء !

(١) كان من عادات تلك الأيام أن يعافب المزورون بعرضهم على الناس وقد
الصقت على رؤوسهم أو صدورهم ورقة تصف جريمتهم .

- بيرون : كتأخى السكير مع السكير .
- لونجافيل : أ أنا أول من حنث بقسمه ؟
- ٥٠ بيرون : فى وسعى أن أطمثنك . أنا أعرف أكثر من حائنين .
وأنت الحاكم الثالث فى دولة العشاق . أنت الركن
الثالث فى قبعة الهيام .
أنت العمود الثالث فى مشنقة الغرام التى يشنق عليها
البلهاء .
- لونجافيل : أنحشى ألا يكون فى هذه الأشعار الغليظة من القوة
ما يهز مشاعرهما .
- أى ماريا الحبيبة ! يا سيدة الفؤاد !
سوف أمزق هذا الشعر وأكتب مكانه نثراً .
- ٥٥ بيرون : بل إن القوافى كالثشى المديج على جورب كيوييد ،
فلا تتلف دكان كيوييد .
- لونجافيل : لن أرسل إذن سوى هذا القريض .
(يقرأ قصيدته) : « لعينيك بيان بلاغته من السماء
فلا يقوى البشر على جلاله .
أو لم تمنع عيناك فؤادى بأن يحنث فى اليمين ؟
ومن حنث بالعهد فى سبيلك فلا جناح عليه ولا يحق
عقابه .
- ٦٠

أقسمت أن أعرض عن النساء ، أما وأنت إلهة ،
فسوف أثبت أني ما أقسمت على الإعراض عنك .
أنا أقسمت أن أعرض عن الحب الدنيوي ، ولكن حبك
سماوي .

٦٥ فإن ظفرت برضائك شفيت من كل ذنوبي .
وما العهود إلا أنفاس من هواء ، وما الأنفاس إلا بخار ،
وحين تشرقين يا شمس الجمال على وجودي الأرضي
يتبخر هذا البخار وتتبخر معه عهودي .

٧٠ فإن حثت بعهدى من أجلك فلا لوم على .
فإذا حثت بيمينى فأى أحمق لا يرى
أن من الحكمة أن يفقد عهداً ليربح فردوساً .

بيرون : هذا غرام الكبد الذى يؤله اللحم
ويجعل من هذه الحمقاء ربة ، إنها لعبادة للأصنام .
هدانا الله ، أجل ، هدانا الله ، فقد ضالنا سواء
السبيل .

٧٥ لوزجافيل : من رسولى بهذا الخطاب ؟ مهلا يا صاحبي
(يتحنى جانباً)

بيرون : هذه لعبة الاستخفاء ، لعبة الاستخفاء . عبث قديم
من عبث الأطفال .

هأنذا أجلس هنا كأننى نصف إله تربع وسط السماء ،
وأرغب عن كذب من عليائى أسرار الحمقى المساكين
تتكشف أهامى .

وما خفى منها كان أعظم . أيتها السماوات ! هذه أمنيتى
تتحقق .

(يدخل دومان حاملاً ورقة)

إن دومان قد تبدل : أربعة من الحمقى فى وقت واحد !

٨٠

دومان : أى كاترين أيتها الإلهة المعبودة !

بيرون : أى دومان . أيتها المغفل اللدنس . .

دومان : أقسم بالسماء أن عجائب الخلد اجتمعت فى عينيها
الفانيتين .

بيرون : وأنا أقسم بالأرض أنها ليست نخالدة بل هى جسم فان ،
وإنك كذوب .

٨٥ دومان : شعرها العبرى حطّ من شأن العنبر .

بيرون : ولو رأينا غراباً بلون العنبر لأعجبنا به .

دومان : قوامها منتصب كشجرة الأرز .

بيرون : بل أقول إنها منحنية ، وكتفها بارزة .

دومان : بهية كالنهار .

بيرون : نعم كبعض الأيام ، ولكنها أيام لا تشرق
فيها شمس .

ليتنى نلت مناي .

لونجافيل : وليتنى نلت مناي كذلك

فرديناند : وأنا أيضاً ، حقق مناي يا الله !

بيرون : آمين ! استجب لهم تتحقق مناي فيهم . أليست هذه

دعوة صالحة ؟

دومان : أحب أن أسلوها ، ولكنها كالحمى

تسرى في دمي فلا تغرب عن الخاطر .

بيرون : إذا كانت كالحمى تسرى في دمك

فالفصد يخرجها منه في الأطباق . ألا ما ألد هذا الخطأ !

دومان : سوف أقرأ القصيدة التي نظمتها مرة أخرى .

بيرون : وأنا سوف أشاهد الحب كيف يؤثر في العقول .

دومان : (يقرأ أغنيته)

« ذات يوم ، وياله من يوم مشوم

رأى الغرام في مايو ، وهو شهر الغرام إلى أبدالآبدلين ،

زهرة ليس لجمالها نظير ،

تتلاعب في الهواء اللعوب .

ويتخلل النسيم أوراقها المخملية فلا تراه العيون .

فلما رأى الغرام ما كان ،

أسقمه الهوى فتمنى أن يكون كالنسيم ،

وهو أنفاس السماء . وصاح الغرام قائلاً :

أرى النسيم يلثم خديك ،

فليت لي نصرك يا نسيم !

ولكن . واحر قلباه ! لقد أعطيت العهد

ألا أقظنك يا زهرتي من بين الأشواك .

١١٠

وأسفاه إنه لعهد غير خليق بالشباب

الذي ما خلق إلا ليبنى أطيب الحياة .

فلو أنى خنت عهدى تحية لجمالك ،

فلا تحسبى هذا ذنباً .

فلو رآك « چوف ^(١) » سيد الأرباب لأقسم

١١٥

أن حبيبه « جونو ^(٢) » حبشية ،

وأنكر في هواك ألوهيته

ونزل على الأرض في زى الآدميين . «

سوف أرسل هذه القصيدة، وأرسل معها ما هو

أوضح منها

وأكثر دلالة على آلام الحرمان التى يعانيتها حبي

١٢٠

التصادق .

(١) چوف Jove

(٢) جونو Juno أى يراها سوداء قبيحة .

ألا ليت الملك وبيرون ولونجافيل مثلي من العشاق .
 فالمثل السيء يزيل السوء
 ويمحو عار الحيانة المسطر على جيبني
 ولا مجال للملامة حيث يتساوى الكل في الصباية
 الحمقاء .

لونجافيل : (يتقدم)

أى دومان ، إن حبك خال من صفات الخير
 لأنك تتمنى أن تشرك غيرك معك في شقاء الحب .
 أراك شاحب الوجه ، أما أنا فلست أشك أن وجهي
 يحمر خجلا
 لو أن مسترقاً سمعني أهدى على هذا النحو .

١٢٥

فرديناند : (يتقدم)

لا تقل يا سيدى إن وجهك يحمر خجلا ، كأن حالك
 شبيهة بحاله .

١٣٠

أنت تؤنبه وذنبتك ضعف ذنبه .
 إن لونجافيل ينكر أنه يحب ماريا .
 إن لونجافيل ينكر أنه نظم فيها الشعر
 أو ضم من أجلها ذراعيه إلى صدره العاشق
 ليسكت قلبه عن الخفقان .

لقد استخفيت عن الأنظار وراء هذه الشجرة
ورأيت منكما معاً ما يحمر له الوجه نخجلاً .
سمعت أشعاركما المشينة ، وراقبت حالكما ،

فشاهدتكما تصعدان الزفرات ورأيت فيكما كل دلائل
الغرام .

فإن قال أحدكما : « واهي لي ! » صباح الآخر :
« لطفك يا الله ! »

وإن قال أحدكما : « غادتي شعرها نضار » صباح الآخر :

« وعينا حبيبتى تشعان كالباور . »

(مخاطباً لونجافيل) ألم تقل يا لونجافيل إنك تخون
العهد راضياً لتنعم بالفردوس ؟

(مخاطباً دومان) وأنت يا دومان ، ألم تقل إن جوبتر
نفسه يخون العهد لو رأى محبوبتك ؟

لسوف يغتبط بيرون شامتاً حين يعلم

أنكما حنثاً بالقسم بعد كل هذه الحماسة .

لسوف يسخر منا أشد السخرية . لسوف يتفكك بنا
ما شاءت له فكاهته .

لسوف يرقص طرباً من فرحة النصر ويضحك ملء
شداقيه .

ولو أنى أعطيت كل ما رأيت في هذا العالم من ثراء
لما رضيت لنفسى أن يعرف بيرون عنى شيئاً من هذا .
بيرون : هأنذا أتقدم لأعاقب المنافقين .
(يتقدم)

أتمس عفوك يا مولاي الكريم . ١٥٠
وأنت يا ذا القلب الطيب بأى حق تلوم
هؤلاء العشاق المتيمين على حبههم ؟
إن عينيك لتستعبران فتجرى منهما الدموع على الخلود
كأنها مركبات تلوح فيها الحبيبة وكأنها الأميرة في موكب
وأنت لن تحنث في يمين ، فهذا الحنث شىء بغيفض . ١٥٥
تباً لهؤلاء العشاق ، وليس يحب الأغاني إلا المغنون .
ولكن ألا تخجلون ثلاثكم من هذا الضلال المين ؟
أنت يا لونجافيل ترى القذى في عين دومان ،
ومولاي الملك يرى القذى في عينك .
أما أنا فأرى الحشية في عيونكم جميعاً . ١٦٠
إنى رأيت مشهداً عجيباً من مشاهد الحماسة
يضج بالآهات والأنات ويفيض بالآلام والأحزان ،
وأنا فى مكانى جالس أغالب الصبر
إذ أرى الملك العظيم يتحول إلى حُشيرة ،

وهرقل الجبار يعبث عبث الأطفال ،

١٦٥

وسليمان الحكيم يرقص طرباً ،

أو نسطور الوقور يعبث كالغلام ،

وتيمون العبوس يقهقه للتفاهات .

أرنى يا صديقى دومان ، أين استقر حزنك ؟

وأنت يا لونجافيل النبيل : أرنى أين استقر الملك ؟

١٧٠

أرنى يا مولاي أرنى مكان الداء .

ها هنا ، حول الصدر كله .

هاتوا شراباً ساخناً فيه شفاء .

فرديناند : ما أمر دعابتك يا بيرون . أهكذا تفضحنا بتجسسك ؟

بيرون : أنا لم أفصح أحداً ، بل أنا الذى افتضحت ،

لقد افتضحت . أنا الرجل الشريف

١٧٥

الذى يعد نكث العهود خطيئة ،

لقد افتضحت بصحبة أمثالكم من الرجال

المتقلبين تقلب القمر فى أبراجه .

لن ترونى أنظم القوافى ،

أو أمزق نفسى حسرات من أجل هذه أو تلك ،

١٨٠

أو أضيع من وقى دقيقة فى تزيين نفسى .

لن أتغزل فى أى عضو من أعضاء الجسم ،

- وجه أو قدم أو عين أو مشية
أو قوام أو جبين أو صدر أو خصر أو ساق .
- فرديناند : مهلا ! فيم الإسراع ؟ أرجل شريف يركض هذا
١٨٥
الركض أم لص .
- بيرون : أنا أركض فراراً من الحب ، فدعني في سبيلي أيها
العاشق الوهان .
- (يدخل كستارد وحاكيتا)
- جاكيتا : سلام الله على الملك !
فرديناند : ما هذه الرسالة التي تحملين ؟
كستارد : داييل الحيانة المحققة .
فرديناند : وما تفعل الحيانة هنا ؟
كستارد : لا شيء يا مولاي .
- ١٨٥ فرديناند : إذا كانت لاتنفع ولا تضر فانصرف مع الحيانة بسلام .
جاكيتا : ألتمس من مولاي أن يأمر بقراءة هذا الخطاب .
إن سيدنا التمسيس يشتبه فيه وهو يقول إنه ينطوى
على الحيانة .
- فرديناند : هيا اقرأ الخطاب يا بيرون
(يقرأ بيرون الخطاب) ممن أخذت هذه الرسالة .
- ١٩٥ جاكيتا : من كستارد .

- فرديناند : وممن أخذتها يا كستارد ؟
- كستارد : من السيد أدرماديو . من السيد أدرماديو ،
- فرديناند : عجيب ! ماذا أصابك ؟ لم تمزق الرسالة ؟
- بيرون : إنها شيء تافه يا مولاي . نعم ، شيء تافه ، ولا داعي
للانزعاج منها يا مولاي .
- ٢٠٠ لونجافيل : بل أرى الرسالة قد أثارتة . فلنسمع إذن ما يقول .
- دومان : (يجمع الأوراق الممزقة)
إنها بخط بيرون وهذا اسمه .
- بيرون : (مخاطباً كستارد) أيها الأحمق ، يا ابن العاهر ، إن
أمك ولدتك لتفضحني بين الناس .
أنا مذنب يا مولاي . أجل ، أنا مذنب . أعترف بأني
مذنب ، أعترف بأني مذنب .
- بيرون : بم تعترف ؟
- بيرون : إن ثلاثتكم من الحمقى ، وإنه
كان ينقصكم أحمق رابع ، هو
أنا ، لتكتمل رباعيتكم .
هذا لونجافيل ، وهذا دومان ، وأنت ، أجل أنت
يا مولاي ، ثم أنا ،
نحن جميعاً من لصوص الغرام ، فحق علينا القتل .
اصرف هذا الجمع يا مولاي أنبتك بالمزيد .

- دومان : الآن تساويننا .
- بيرون : نعم ، نعم ، فنحن أربعة ، نحن زوجان .
هلا انصرف هذان العاشقان ؟
- فرديناند : هيا انصرفوا يا سادة .
- ٢١٠ كستارد : الشرفاء ينصرفون ، والحنونة يبقون .
(ينصرف كستارد وجاكنينا)
- بيرون : أيها السادة الأحباء ، أيها العشاق الأحباء . هيا بنا نتعاقق
فنحن ذوو صلة قوية كصلة الدم باللحم .
المد والجزر من طبيعة البحر ، وسمة السماء أن تكشف
عن وجهها النقاب ،
ودم الشباب لا يخضع لقانون الشيوخ .
- ٢١٥ : ولسنا نملك أن نتحدى الغاية التي من أجلها ولدنا .
فليتحلل إذن كل منا من قسمه .
- فرديناند : أسمع عجباً ! أكان في هذه الأشعار الممزقة ما يفضح
عن هواك ؟
- بيرون : كيف تتساءل يا مولاي ؟ أفى الناس من يرى روزالين
ذلك الملاك ، ولا يطأطئ رأسه أمامها كالعبد الذليل ،
ويعشيه سناها فيخر على الأرض ساجداً
- ٢٢٠ : ويقبل الرغام الخسيس تحت قدمها بنفس راضية ،

كأنه همجى من أجلاف الهند يتعبد لمطلع الشمس في
الشرق العظيم؟

وأى عين ثابتة جارحة كعين النسر
تجرؤ على أن تشخص إلى جبينها المشرق الوضاء ،

ولا يعشها جلال الضياء ؟

٢٢٥

فرديناند : أى حماسة هذه التى تلهبك الآن ، وأى نشوة تلهماك
هذا الكلام؟

إن محبوبتى وهى سيدة محبوبتك ، هى البدر البهى
فى علاه ،
وما محبوبتك إلا كالنجم الخافت فى فلكه ، يوشك
ألا يرى له ضياء .

بيرون : إذا كان الأمر كذلك فعيناي إذن تكذبان ،

٢٢٠

ولست إذن بيرون العارف بأسرار الجمال .
لولا محبوبتى لاستحال النهار ليلا أسحماً .
وفى نخلها الزاهى التقت أجمل الألوان ،
كما تلتقى فى الروض ألوان الربيع ،
أو كأنما اجتمعت الفضائل المتعددة واتحدت فى كائن
واحد نبيل .

بل محبوبتي هي الكمال الذي لا نقص فيه ، وكل
ما يتمنى المرء موجود فيه .

٢٣٥

ليت لي بلاغة الشعر العذب الخنون !
كلا . كلا . سحراً للبلاغة الزائفة ، فهي غنية عنها .
إنما تحتاج إلى المديح بضاعة التجار ،
أما محبوبتي ، فهي فوق كل مديح ، وكل مديح
يسيء إليها لأنه يقصر عن بلوغ كمالها .

فلو أن ناسكاً هرباً أفي مائة شتاء يتطلع في عينيها
لا رتد في الخمسين .

٢٤٠

فمرأى الجمال يجدد العمر
ويرد الشيخ طفلاً وليداً ، بل ويحيل لحدته مهداً .
أجل محبوبتي هي الشمس التي يستمد منها كل شيء
نوره .

فرديناند : قسماً بالله ! إن محبوبتك لسوداء كالأبنوس .

٢٤٥ بيروت : هل الأبنوس مثلها ؟ ألا أيها الخشب المقدس !

إن زوجة من الأبنوس هي السعادة بعينها .

أبينكم من يستطيع أن يقسم ؟

إلى بكتاب أقسم عليه أن كل حسناء عاطلة من

الحسن

إذا هي لم تستوح من محبوبتي كيف تسبل الطرف
لتصرع الرجال ،

وبما من وجه يتحلى بالجمال إلا إذا كان في سوادها .

٢٥٠

فرديناند : ما هذه النقائص ! إن السواد شارة الجحيم ،

وهو لون الليل الخالك ، ولون السجون المعتمة .

وإن الجمال الحق - لا الجمال الذي تعجب به - هو

الذي يليق بهذا التشبيه السماوي^(١) .

بيرون : إن الشياطين تضلنا حين تبدو كأرواح من ضياء .

بيرون

وإذا كان جبين محبوبتي يجلله السواد

٢٥٥

فهذه شارة الحداد تلبسها حين ترى الشقراوات

ينخذعن العشاق البلهاء بالأصباغ وبالشعر المستعار .

ولهذا فقد سوتها يد الله لتضفي على السواد جمالا ،

تبدل الأذواق حسب هواها ،

فنحن في عصر يرى الزيف في كل ما وهبته الطبيعة ،

٢٦٠

وهكذا تصبغ الشقراء شعرها بالصبغة السوداء لتسلم

من الهجاء .

فتفتن القلوب لأنها تحاكي محبوبتي .

(١) المعنى هنا غامض وقد اختلف فيه المفسرون والترجمة التي أوردناها هنا مأخوذة

من أحد المعاني الواردة في طبعة آردن .

دومان : وكذلك يشبه بها ماسحو المداخن لكثرة ما عليهم من
أوساخ .

لونجافيل : وغدا الفحامون من بعدها يحسبون بيضاً .

٢٦ فرديناند : وفاخر الأحباش بوجوههم البيضاء .

دومان : ولم نعد الآن بحاجة إلى الشموع لنجلو الظلام ، لأن
الظلمة غدت منيرة .

بيرون : قولوا ما تشاءون ، ولكن محبوباتكم لا يجسرن على
الخروج وقت المطر

لثلا تزيل الأمطار طلاءهن .

فرديناند : ليت صاحبتك تقف في المطر ، لأني أصارحك يا سيدي

٢٧ أنى أريد أن أجد وجهاً أبيض من وجهها لم يغسل اليوم .

بيرون : سأثبت لكم أن محبوبي جميلة ، ولو بقيت هنا أجادلكم
إلى يوم الدين .

فرديناند : إذن لن يخيفك عفريت بقدر ما تخيفك هي .

دومان : أنا ما عرفت رجلاً يعتز بالقبح كل هذا الاعتزاز .

لونجافيل : هذه امرأة محبوبتك . انظر إلى قدمي وإلى وجهها تجدهما
سواء .

(يرفع حذاءه)

٢٧ بيرون : بل إن عينيك لا تصلحان

موطئاً لقلديها الدقيقتين .

- دومان : خسئت يا رجل ! لو أنها مشت على عيني
لأرسلت بصرى من تحت إلى فوق ورأيت أشياء كثيرة .
- فرديناند : ولكن ماذا يهم هذا ؟ ألسنا جميعاً من العشاق ؟
- ٢٨٠ بيرون : بلا جدال . وبهذا نكون جميعاً خائنين للعهد .
- فرديناند : أذن دعونا من هذا اللغو . هيا اثبت لنا يا صديقي بيرون
أن غرامنا مشروع وأننا لم نتكث عهداً .
- دومان : نعم ، نعم . أسمعنا بعض الإطراء في هذه المعصية .
- لوفجافيل : أرنا السبيل بما لديك من حجبج .
- ٢٨٥ : علمنا بعض الألاعيب التي نفسط بها على الشيطان .
- دومان : أجل ، قل شيئاً يبرئنا من يمين الزور .
- بيرون : إنكم في أشد الحاجة إلى هذا . نخلوا إذن عنى الكلام
يافرسان الغرام :
- تدبروا ما أقسمتم عليه أولاً :
- لقد أقسمتم أن تصوموا وأن تطلبوا العلم وأن تمتنعوا عن
رؤية النساء .
- ٢٩٠ وهذه خيانة صريحة للدولة الشباب .
- أجيبوا ، أفى وسعكم إن تصوموا ؟ إن معداتكم غضة
لا تحتمل الصوم ،

والامتناع عن الطعام يولد الأمراض .
ثم إنكم يا سادتي ، حين أقسمتم لتطلبين العلم نبذ كل
منكم كتابه فحنت كل بقسمه
فهل يمكن لأحدكم الآن أن يقبل على صحائفه وينعم
النظر فيها ويسترسل في الأحلام ؟
ومتى كنت يا مولاي ، ومتى كنت يا دومان ، وأنت
بالونجافيل

٢٩٥

متى كنت ترى للعلم معنى
إلا ما تقرأه في وجه امرأة جميلة ؟
وهذه فلسفتي التي استقرأتها من عيون النساء :
فعيون الغيد هي أس الحياة وكتبها ومجامع العلم فيها ،
وهي الينابيع التي تفجرت منها نيران بروثيوس
سارق الذهب وواهبه لبني البشر .
ألا ترون أن الاطلاع الدائم يشل الحيوية اللدافة في
مجرى الشرايين ،
كما تجهد الحركة الكثيرة والتنقل المتواصل قوة المسافر ؟
أما عن العهد الذي قطعتموه بأن تمتنعوا عن النظر
إلى النساء ،
فهذه خيانة لما خلقت من أجله العيون .

٣٠٠

٣٠٥

بل هي خيانة لما تعاهدتم عليه من طلب العلم .
وأين هو ذلك المؤلف

الذي يعلمنا أسرار الجمال خيراً من عيون النساء .

٣١٠

وما العلم إلا امتداد لأنفسنا

يوجد حيث نوجد . وإذن فنحن نرى

نفوسنا معكوسة في عيون الغيد ،

ألسنا نرى فيها كذلك ما حصلناه من علم ؟

نعم يا سادتي ، لقد أقسمنا أن نطلب العلم

٣١٥

ومن أقسم أن يطلب العلم فقد أقسم أن ينبذ الكتب .

فهل وجد أحدكم في تأملاته المملة

ما أوحى إليه بمثل هذه الأشعار الجياشة

التي استلهمتموها من وحى العيون الفاتنة ؟

وهي خير مؤدب لمن طلب غنى النفس ؟

٣٢٠

إن كل فن ، ما خلا الحب ، يركد في العقل ،

وحين لا يجد من يمارسه يتكشف عقمه

فلا يثمر بشيء يعادل ما نبذله من جهد مضمّن في

تحصيله .

أما الحب الذي تلهمنا إياه أول ما نلهم عيون الغيد ،

فإنه لا يبقى سجيناً في العقل وحده ،

٣٢٥

بل يسرى في كينونتنا المتحركة
سريان الفكر السريع في كل قوة من قوانا ،
فتتضاعف به كل قوة
وتزكو به وظائف الملكات .

فبالحب يقوى في العين إبصارها ،
وللعاشق عين إذا تفرست في النسر سقط كفيفاً .
وبالحب يقوى في الأذن سمعها ،
فالعاشق أذن تتبين أخفت الأصوات
التي تعجز عن سماعها أذن اللص الذي يرتاب في أي
صوت .

٣٣٠

أذن تجاوز في حساسيتها قرون القوافع ذات المحار .
وللعاشق لسان أعذب مذاقاً من خدر باختوس .
وللعاشق قلب جسور كأنه هرقل يقاتل التنين
ولا ينقطع عن تسلق الأشجار في الجزائر السعيدة .

٣٣٥

أجل ! العاشق ما كر كأبي الهول ،
وترنم بأعذب الأغاني كأنه قيثارة أيلول .
أوتارها من شعره . وإذا ما نطق الحب تسبح الآلهة جميعاً
فتغفو السماء على إيقاع النشيد .
وبأرأينا شاعراً اجترأ على أن يمسك بقلمه لينظم القريض

٣٤٠

حتى امتزج مداده بزفرات الغرام .
وعندئذ تسحر أشعاره آذان الحمج وتعلم الطغاة كيف
يكون الخشوع .

٣٤٥

هذه فلسفتي التي استقرأتها من عيون النساء :
إن عيون الغيد تتلألأ على الدوام كأنها القبس
الذي وهبه برومسيوس لبني البشر .

وهي كتاب الحياة ومنبع فنها وعلمها
الذي يكشف كل أسرارها ويحتوي كل مبادئها ويغذي
كل ما في الوجود .

٣٥٠

لا فضل لشيء إلا بهذه العيون .
وإذن فقد كنتم من الحمقى حين أقسمتم أن تتجنبوا
النساء ،

فإذا احترمتكم قسمكم كنتم أحمق من الحمقى .
فبحق الحكمة هذه التي يعشقها كل الناس .
أو بحق الحب وهو اللفظ المحبب لكل الرجال ،
أو بحق الرجال الذين يخلقون أولئك النساء .
أو بحق النساء اللاتي يجعلن من الرجال رجالا ،
دعونا نخسر هذه الأيمان لنكسب أنفسنا ،
وإلا نخسرنا أنفسنا وفاء بهذه الأيمان .

٣٥٥

إن من الدين أن نبحث بهذا العهد ،
فبالخير تتحقق شريعة الله ،
وهل هناك خير بغير حب ؟

٣٦٠

فرديناوند : أذت إذن قديسنا كيوييد . هيا إلى المعمعة يا جنود
الغرام !

بيرون : تقدموا بألويتكم ، واهجموا عاين أيها السادة !
أشيعوا الاضطراب في صفوفهن وليسقطن ! ولكني
أنصحكم

٣٦٥

أن تدخلوا هذه المعركة والشمس من خلفكم .

لونجاويل : والآن إلى الجلد . دعونا من هذه الحواشي .

هل اتفقنا على أن نغازل هؤلاء البنات الفرنسيات ؟

فرديناوند : وقرونا أن نقهرهن كذلك .

فلنعدّ لهن إذن شيئاً من التسلية في خيامهن .

٣٧٠

بيرون : فلننقلهن أولاً من الحديقة إلى الخيام .

ثم نعود إلى الدار وقد أمسك كل منا

بيد محبوبته الجميلة ، وبعد الظهر

نسرى عنهن بطريف المتع

بحسب ما يسمح وقتنا وهو قصير .
 ذلك أن القصف والرقص والتمثيل والأوقات الهنيئة
 هي الرسل التي تتقدم موكب الحب السعيد وتنتشر
 في طريقه الزهور .

٣٧٥

فرديناند : هيا بنا ! هيا بنا ! لن نضيع لحظة واحدة

لها قيمتها إلا انتفعنا بها .

٣٨٠ بيرون : هيا بنا هيا . من يبذر « الصاوة » لا يحصد قمحاً .

وعجلة العدالة تدور بانتظام .

ولعل في البنات المفرطات نقمة على الرجال الحائثين .

فإذا كان الأمر كذلك فالجزاء من جنس العمل .

(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الأول

(يدخل هولوفرنيز والسيد ناثانيل ودل)

هولوفرنيز : حسبك من غنى شبع وري

ناثانيل : أشكر الله لك يا سيدى .

فقد كانت آراؤك على مائدة العشاء

قوية بليغة ، ظريفة دون عربدة ، فكهة دون تكلف ،

جريئة دون قحة ، ضليعة دون غرور ،

غريبة دون زندقة .

فقد كنت أتحدث منذ أيام مع رفيق

من رفقاء الملك اسمه دون أدريانو دى أرمادو ،

أو هكذا يدعى ، أو هذا لقبه .

١٠ هولوفرنيز : أعرف الرجل بقدر ما أعرفك ، وهو رجل سامى الخيال ،

بات الحديث . مصقول اللسان ، طموح النظرات ،

يمشى الخيلاء :

أما سلوكه العام فهو يفيض بالغرور ويدعو إلى

السخرية ،

فالرجل مزهو بنفسه ، مسرف في الزينة ، مفرط في الأناقة ، متطرف في التكلف ،

إذا صح هذا التعبير ، مبالغ في الشذوذ ، يمكن أن أصفه بأنه جواب آفاق .

١٥

نائيل : هذا وصفٌ فريدٌ منتقى .

(يخرج مذكرته)

هولوفريز : وهو متحدثٌ ينسج حججه الغليظة من كلام نحويته دقيقة .

إني أمقت صحبة أمثاله من المجذوبين

المسرفين في الإغراب ، المنفرين للأصحاب ،

المولعين بافتعال الدقة ، المفسدين للهجاء

٢٠

فتراهم يقولون « طبعي » حيث ينبغي أن يقولوا « طبيعي » ،

ويقولون « بلدهي » حيث ينبغي أن يقولوا « بليهي » .

وتراهم يميلون « مجرى » إلى « مجرى » ،

و « مرسى » إلى « مرسى » ،

ويختصرون الكلام اختصاراً .

٢٥

ويتعمدون الإغراب فيقال : « هذا جنون » ،

ويقولون : « هذه لوثة » ، ألا تفهم ، يا سيدي ؟

نائيل : بلى ، أفهم جيداً ، والله الحمد .

- هولوفرنيز : ولم تقول أفهم جيداً ؟
- قل : أفهم « بن ، فور ، بن »^(١) ، فهذا ما يقوله النحاة
مع تحريف طفيف ، ولكنه يبنى بالعرض . ٣٠
(يدخل ارمادو ومث وكستارد)
- ناثانيل : من القادم علينا ؟
- هولوفرنيز : أرى رجلاً يسعدني لقاءه .
- ارمادو : يا غنام !
- هولوفرنيز : ولم ينادى يا غنام ، ولا ينادى يا غلام ؟
- ٣٥ ارمادو : السلام عايكم يا أهل السلام .
- هولوفرنيز : والسلام عليك يا رجل الحروب .
- مث : إنهم يقتاتون على الكلام ،
وكأنهم كانوا في وليمة لغوية وسرقوا منها فتات الألفاظ .
- كستارد : أجل . إنهم عاشوا طويلاً على حثالة الألفاظ .
- ٤٠ والعجيب في الأمر أن سيدك لم يحسبك لفظاً فيلتهمك .
فبعض الكلمات التي يستعملها
أكثر منك طولاً ، وابتلاعك أسهل
من ابتلاع جرعة من الشراب .

(١) بالفرنسية حذقة "Bon; fort. bon."

- مث : صمتاً ، فالناقوس بدأ يدق .
- ٤٥ ارمادو : (مخاطباً هولوفرنيز) : يا سيد ! ألسنت مثقفاً ؟
- مث : نعم ، نعم ، فهو يعلم الصبيان كتاب «مطالعة القرن»^(١) وهو يضع على رأسه قرناً حين يعلمهم حروف الهجاء مقلوبة .
- هولوفرنيز : لاء . بل هو يوزع على الصبيان القرون .
- مث : ماء . هذا صوت خروف ذى قرنين لا يفقه شيئاً وهذا كل علمه فاسمعوه .
- هولوفرنيز : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ أيها الإنسان التافه الذى لا وجود لك إلا مع غيرك وكأنتك الحرف الساكن .
- مث : وأنت آخر الحروف الخمسة المتحركة إذا أنت كررتها أو الحرف الخامس منها ! سأكررها إذا كررتها أنا .
- ٥٥ هولوفرنيز : سأكررها ألف . واو . ياء . اووو . اىىى .
- مث : تماماً كالحروف والحرفان الآخران ينحتمانها .
- ارمادو : قسماً بأمواج البحر المتوسط ، وهى ملح أجاج ، إن هذه دعابة ظريفة . وهى لظمة سريعة من لطمات القريحة .

(١) هو ورقة محتوية على الحروف الهجائية والأرقام العشرة البسيطة وبعض مبادئ الهجاء موضوعة فى غلاف رقيق نصف شفاف مصنوع من قرن حيوان .

أصبته يا مـث بـخفة ومهارة . هذا يشرح صدرى .
هذه فكاهة صادقة .

٦٠ مـث : يهدبها طفل مثلى إلى هرم مثله عمره قرن .

هولوفرنيز : وأين التورية فى هذا الكلام ؟

مـث : فى القرون

هولوفرنيز : أنت تجادل كالطفل . هيا انصرف والعب الخدروف

بعيداً عنى .

مـث : هات قرنك أعمل منه خدروفاً .

٦٥ وعندئذ تجدنى أفصح عارك أمام الجميع .

تصوروا خدروفاً من قرن خروف !

كستارد : لو لم يكن معى إلا فلس واحد

لأعطيتك إياه مكافأة لك .

خذ هذا ، فهو لك .

٧٠ إنه كل ما أخذته من سيدك مكافأة لى .

خذه يا ذا الذكاء الصغير .

لو أن السماء رضيت على فجعلتك ابنى فى الحرام

لجعلتنى أكثر الآباء طرباً .

إن فكاهتك مسقفة إلى آخر حد ، كما يقولون .

٧٥ هولوفرنيز : أسمع لحناً فى اللغة . لا تقل مسقفة ، ولكن قل مثقفة .

ارمادو : سر أممي أيها العالم الضليع ، ولنخرج من هذه الزمرة ،
 زمرة الرعاع . أأست تعلم الشبان في المدرسة
 القائمة على قمة الجبل ؟

هولوفرنيز : نحن نسميه الكتيب ، أي التل .

٨٠ ارمادو : سم الجبل ما تشاء من الأسماء .

هولوفرنيز : سأسميه ، بلا جدال .

ارمادو : يا سيدى إن الملك تعطف فأراد

أن يزور الأميرة في خيمتها

ليحمل إليها التهاني في أعجاز النهار ،

أي في العصر كما يقول سفلة القوم .

٨٥

هولوفرنيز : بل خير أن نقول في أعجاز النهار ،

فهذا التعبير يا سيدى الكريم أكثر ملاءمة وانطباقاً

ودلالة على العصر . وهو تعبير منتقى بعناية ،

وأؤكد لك يا سيدى أنه حلو ومناسب . أجل ، أؤكد

لك ذلك .

ارمادو : وأنا أؤكد لك يا سيدى أن الملك سيد نبيل وأنه من

خلصائى .

٩٠

نعم أؤكد لك أن الملك من أخلص أصدقائى .

أما ما يجرى بيننا سراً فلن أخوض فيه .

وإني أرجوك أن تذكر آداب اللياقة
فتغطي رأسك العارى .

أما ما يجرى بيننا من أمور خطيرة
وأشياء هدفها جليل ومغزاها عميق فلن أخوض فيه
كذلك .

٩٥

ولكن يجب أن تعلم أن جلالته يغتبط أيما اغتباط
حين يريح رأسه على صدرى المسكين هذا .
ثم يعبث بأنامله الملكية بشعرى ؛ وبشاربى هذا يعبث .
ولكنى لن أخوض فى هذا يا حبيب قلبى .

١٠٠

أقسم بالدنيا وما عليها أنى لا أقص عليك شيئاً من
نسج الخيال ،
فإن جلالته يتعطف ويختصنى بالشرف فيجعل موضع
سره فى بعض الأمور خادمه أرمادو ،
لأنه جندى باسل ، ورحالة كثير الأسفار جاب أرجاء
الدنيا .

ولكنى لن أخوض فى شىء من هذا .
وخلاصة القول أن الملك يريد منى أن أعرض أمام
الأميرة ،

١٠٥

هذه الكتكوت الجميل ، مشهداً ، أى منظرًا ،

أى ألعاباً بهلوانية أو ألعاباً بالنار يسر من يراها .
ولكنى أضرع إليك أن تكتم هذا السر يا حبيب قلبي .
ولما كنت أعلم أن القس وشخصك الكريم
من العارفين بهذه المسليات التي ذكرتها لك
وبكل ما يبعث البهجة في النفس

١١٠

فقد ذكرته لكي أتمس منكما مساعدتي في هذا الأمر .
إذن فاعرض أمامها مشهد « الأبطال التسعة » .

هولوفرنيز :

اسمع يا سيد ناتانيل . إذا كان هناك مشهد يعرض في
أعجاز النهار

١١٥

بغية التسلية ، نتعاون نحن في إخراجه
أمام الأميرة بأمر الملك ومراضاة لهذا السيد الشهم
العظيم العارف بالعلوم .
فلمست أرى مشهداً يصاح لهذا الغرض
خيراً من مشهد « الأبطال التسعة »

١٢٠ ناتانيل : وأنى لك بالرجال الصالحين لتمثيل هؤلاء الأبطال ؟

هولوفرنيز : أنت تمثل يسوع .

وأنا وهذا السيد الهمام تمثل يهوذا المكابي .
وهذا الجلف العاشق يمثل بومبي الكبير
وذلك لضخامة أعضائه .

- والغلام مث يمثل هرقل .
- ١٢٥ : ارماو : عفوك يا سيدى ، فقد أخطأت .
- إن مث أصغر من إبهام ذلك البطل
وهراوة هرقل أكبر منه حجماً .
- ١٣٠ هولوفرنيز : هلا استمعت إلى ، إن موث سوف يمثل هرقل مصغراً ،
وسوف يحنق أفعى ليدل على ذلك عندما يظهر على
المسرح ،
وسأعد أنا كلمة أشرح فيها هذا الموضوع .
- ١٣٥ : مث : هذه حيلة بارعة ! فإذا زجر الجمهور غضباً صحت :
« أحسنت يا هرقل ! أنت تفتك الآن بالأفعى ! »
تلك هى الحيلة التى تجعل الخطأ يبدو جميلاً .
ولكن قل من يمثل هذا ببراعة .
- ارماو : وماذا نفع ببقية الأبطال .
- هولوفرنيز : سأمثل أنا ثلاثة منهم .
- مث : فأنت إذن مثلت البطولة .
- ارماو : أتسمعون رأى .
- ١٤٠ هولوفرنيز : كلنا آذان صاغية .
- ارماو : إذا لم ينجح هذا المشهد عرضنا عليها ألعاباً بهلوانية .
أرجوكم أن توافقوا .

- هولوفرنيز : لا تبتئس يا صديقي دل .
 أنت لم تنطق بكلمة واحدة طول هذا الوقت .
 ١٤٥ دل : ولم أفهم كلمة واحدة مما تقولون يا سيدى .
 هولوفرنيز : هيا بنا ! سوف نجد لك دوراً تمثله .
 دل : سأشترك فى الرقص
 أو فى أى شىء من هذا القبيل .
 أو أقرع الطبل للأبطال حين يرقصون .
 ١٥٠ هولوفرنيز : يا صديقى الشريف يا أغبى الأغبياء ، هيا بنا إذن
 لإعداد ألعابنا .

(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الثاني

(تدخل الأميرة وباريا وكاترين وروزالين)

الأميرة : انظرن يا حبيباتي ! إذا جاءتنا الهدايا بهذه الكثرة فسوف نصبح من الأثرياء قبل أن نغادر هذه البلاد .

انظرن إلى ما أرسله إلى الملك العاشق :

حليه فيها سيدة سجيئة بين أسوار من الماس ا

روزالين ه : ألم يرسل مع هديته شيئاً آخر يا مولاتي ؟

الأميرة : لا شيء إلا هذه الهدية . لقد بثني من غرامه في شعره بقدر ما اتسعت لذلك الورقة التي أرسلها .

وهي مكتوبة على الوجهين وفي الهوامش وفي كل مكان .
وتفيض بالحب كأن كاتبها أحب أن يمهرها بخاتم
كيوبيد .

روزالين ١٠ : هكذا يبلغ كيوبيد أشده ،

فقد ظل صبيّاً خمسة آلاف سنة .

كاترين : أجل وكان بائساً تعيساً لا يصلح لشيء إلا للمشتقة .

روزالين : لن يزول سخطك على كيوبيد يا كاترين فقد قتل
أختك .

- كانرين : نعم جعلها حزينه كتيبة مهمومه ،
 ١٥ وهكذا ذبلت وماتت . ولو أنها كانت مثلك طائشة
 تهوى نفسها اللعب والطرب
 لعاشت حتى تصبح جددة .
 ولعل هذه ستكون حالك فالقلب المرح يعيش طويلا .
 وماذا تقصدين ، أيها الفأرة العزيزة ، بهذا التلميح
 روزالين : العارض ؟
- ٢٠ كانرين : أقصد أن لك طبعاً نزقاً في جمال سمراء .
 روزالين : أنا لني حاجة إلى معلومات أكثر مما لدينا لكي نفهم
 ما تقصدين .
- كانرين : ستطفتين الصوء إذا بقيت على هذا الضجر .
 ولهذا سأسدل على هذا الجلدال ستاراً من الظلام .
- روزالين : هذا دأبك . فأنت تفعلين كل ما تريدين فعله في
 الظلام على الدوام .
- ٢٥ كانرين : أما أنت فلا تفعلين هذا لأنك فتاة خفيفة العقل .
 روزالين : هذا صحيح . أنا خفيفة لأني لا أزنك .
- كانرين : إذا كنت لا تزنيني ، فعني ذلك أنك لا تقيمين
 لي وزناً .

روزالين : عندي سبب كاف لذلك . لأن ما لا يلقى العناية
يفر دائماً على الشفاء .

الأميرة : هذه مبارزة بارعة ، وكل منكما قد شحذت ذكائها
فأجادت .

ولكنك يارو زالين قد تلقيت مثلي اشارة من امارات الغرام . ٣٠
فمنذا الذي أرسلها ، وماذا يكون :

روزالين : أحب أن تعرفي يا سيدتي أنه لو كان لي جمال وجهك
لكان تذكارى عظيماً كتذكارك . فاشهدى إذن على هذا :
لقد تلقيت مثلك شعراً . فالشكر لناظمه بيرون .

٣٥
أما النظم فصادق . ولو صدق ما يعدهه من صفاتي
لكنت أجمل إلهة تخطر على الأرض .
فهو يشبهني بعشرين ألف فاتنة .
إنه رسم صورتى في رسالته .

الأميرة : وهل تشبهك الصورة ؟

روزالين : نعم تشبهني كثيراً حين تصفني ولكنها لا تشبهني أبداً
حين يثنى على . ٤٠

الأميرة : يقول إن شعرك الأسود جميل كالخبر ، وهذه خاتمة
سعيدة .

كاترين : يقول إن قوامك جميل كالألف رسمتها يد نخطاط في كراسة .

روزالين : احذرى ما تخطه الأقلام يا كاترين . لن أموت قبل أن أفي بديني لك .

شقراء أنت كالحرف الذهبي ،

ولولا أن وجهك مملوء بالنقط لقلت إنك جميلة

٤٥

الأميرة : هذه دعاية ثقيلة ، واللعنة على كل امرأة شريرة .
ولكن حدثيني يا كاترين ماذا تلقيت من دومان الوسيم ؟

كاترين : تلقيت هذا القفاز يا سيدتى

الأميرة : ألم يرسل الكف الأخرى ؟

كاترين : بلى يا سيدتى : وأرسل معها

٥٠ ألف بيت من الشعر نظمها عاشق وفتى في حبه .

هى آية من آيات النفاق

ديجت في خبث وبلاهة لا حد لها .

ماريا : وأنا تلقيت هذه الرسالة ومعها هذه الدرر من لونجافيل .

أما الرسالة فهى أطول مما ينبغي بنصف ميل .

٥٥ الأميرة : رأى من رأيك . أما كنت نتمنين

أن يكون العقد أطول والخطاب أقصر ؟

- ماريا : أجل ، وإلا لما فك وثاق هاتين اليدين .
- الأميرة : إن سخریتنا من عشاقنا على هذا النحو للدليل على حکمتنا .
- روزالين : وهى حماقة منهم أن يشتروا هذه السخرية بذلك الثمن الغالى .
- ٦٠ سوف أعذب بيرون هذا قبل أن أرحل من هذه البلاد .
ليتنى أعلم علم اليقين أنه وقع فى الفخ .
إذن لجعلته يتمرغ أمامى ويتضرع إلى ويطلب رضای
وينتظر الأوان ، ويتحين الأوقات ،
ويريق فكاهته المسرفة فى قواف ليس فيها غناء .
- ٦٥ ويجعل من نفسه خادماً رهن إشارتى ،
ويزين نفسه لعينى لعلى أفخر به ، وما حبي له إلا حب
هازل .
وهكذا أفوز عليه وأملك عليه حياته حتى يغدو ألعوبتى
التي أسخر منها وأغدو كالقضاء الذى يسيره .
- الأميرة : حين يصبح العاقل إنساناً أحمق
٧٠ فلن يكون أسهل منه وقوعاً فى الشباك .
فالحماقة التي تنبت من الحكمة يخالها الناس بنت
الحكمة ،

وهي تستعين بالعلم وتحلى بالذكاء الطلي حماقة العلماء .

روزالين : وحين يعربد الوقار يبلغ من الدعارة

ما لا يبلغه دم الشباب المتأجج .

٧٥ ماريا . وحماقة الحمقى لا تعيب صاحبها

كهذيان العقلاء الذي يستخدم

كل ما أوتيته من قوة ليثبت بالمنطق

أن في السفاهة حكمة الحكماء .

(يدخل بوييت)

الأميرة : ها هو ذا بوييت قادم علينا ووجهه يطفح بالبشر

٨٠ بوييت : أكاد أنفجر من الضحك . أين صاحبة السمو ؟

الأميرة . ما وراءك يا بوييت ؟

بوييت : استعدى ، يا سيدتى ، استعدى !

إلى السلاح ، يا بنات ، إلى السلاح ! فالهجوم يدبر

لتعكير سلامكن :

الحب قادم على استخفاء مدججاً بسلاح الكلام .

سوف تؤخذن على غرة . فاجمعن شتات ذكائكن ،

ولتأهب كل للدفاع عن نفسها ،

أو فلتفر كالجبناء ولا تبدأ المعركة وتخفى وجهها من

فرط العار .

الأميرة : إله الصيد يصبح إله الحب ! ومن يكون هؤلاء الغزاة
المنقضون علينا ؟ أفصح يا كشاف ، أفصح .

بوييت : تحت شجرة جميز رقدتُ ،

٩٠ أتمس النعاس في فيئها الرطيب نصف ساعة أو نحوها ،
وعندئذ رأيت الملك ورفاقه

قادمين علي فقطعوا علي نعاسي .

وهكذا تواريت في حذر

بين الأحراش المجاورة ،

٩٥ واسترقت السمع فوقفت علي هذا الحديث الذي أرويه

لكن : سمعهم يقولون إنهم سوف يأتون إلى هذا المكان

مستخفين .

وسوف يكون رسولهم غلام وسيم خبيث ،

يحفظ عن ظهر قلب ما حملوه من رسالة ،

وقد لقنوه كيف يؤديها بالقول والإشارة ،

« هكذا يجب أن تتكلم . وهكذا يجب أن ترفع

قامتك » .

وقد حسبوا حساب كل شيء .

حسبوا أن الغلام سيظهر في حضرة جلييلة قد تعقد لسانه .

قال الملك للغلام : « سوف ترى أمامك ملاكاً ،

ولكن لا تخش شيئاً بل تكلم بكل جرأة .
فأجاب الغلام : « وكيف أخشاها يا مولاي . إن
الملاك لا يعرف الشر ،

١٠٥

ولو أنها كانت شيطاناً لخشيت منها .
وحين سمعوا ذلك منه ضحكوا جميعاً وربتوا على كتفه
سروراً ،

فازدادت بثنائهم شجاعته .
وفرك أحدهم كفيه جذلاً وابتسم ساخراً
وأقسم أنه ما سمع في حياته كلاماً أجمل من هذا الكلام .
ولوح آخر بينانه صائحاً :
« إلى الأمام . سوف ننقض عليهن ، وليكن ما يكون »
ورقص الثالث طرباً وقال :

١١٠

« كل شيء يسير على هوانا . »
أما الرابع فترنح من فرط السرور ثم سقط على الأرض ،
فحذا الباقيون حذوه فاستلقى كل على قفاه من شدة
الضحك .

١١٥

وقهقهوا عالياً حتى اغرورقت عيونهم بالدموع ،
ولم يكن هناك سبيل إلى ضبط هذا الجنون .
: ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ أهم قادمون لزيارتنا ؟

الأميرة

١٢٠ بوييت : نعم ، نعم ، وأعتقد أنهم سيأتون
في زى الروس أو المسكوف .

ليتحدثوا إليكن وليخطبوا ودكن وليرقصوا معكن .
وسيعرض كل منهم قوة حبه على أثيرة فؤاده .
بعد أن يستدل عليها

بما قدمه إليها من هدايا العشاق . ١٢٥

الأميرة : أحقًا سيعرف كل سيدة فؤاده ؟ سوف يكلف هذا
العمل العشاق شططاً .

فكل منا يا سيداتي ستلبس على وجهها قناعاً .
ولن يظفر أحد منهم برؤية طلعة محبوبته .
مهما ألح في السؤال .

إليك يا روزالين هذه الهدية ، فخذها والبسيها ١٣٠

وهكذا يحسبك الملك محبوبته فيخطب ودك .

أجل ، يا حبيبتي ، خذي هديتي وأعطني هديتك .
فيحسب بيرون أنى روزالين .

وأنت يا مارييا ، وأنت يا كاترين ، هيا ، تبادلنا
مثلنا الهدايا ،

حتى ينخدع كل عاشق بهذا التبادل وينحط كل
محبوبته . ١٣٥

روزالين : هيا إذن ، فلنلبس الهدايا في مكان ظاهر .

كاترين : ولكن ما غرضك من هذا التبادل ؟

الأميرة : غرضي أن أفسد عليهم خططهم ،

فهم لا يجلدون ولكن يعبثون ليسخروا منا .

ولا قصد لي إلا أن نبادلهم سخرية بسخرية .

١٤٠

بهذا يعرض كل منهم غرامه

خطأ على غير محبوبته ،

فنستطيع أن نسخر من فعالهم حين نلتقي

بهم مرة أخرى بوجوه مكشوفة لترحب بهم ونتحدث إليهم .

١٤٥ روزالين : وهل نرقص معهم إذا طلبوا إلينا ذلك ؟

الأميرة : كلا . لن نحرك قدماً معهم ما حيننا .

ولن نقبل منهم هذا الشعر الذي نظموه في هوانا .

وحين يتلو كل منهم قصيدته ، سوف نشيح بوجوهنا

عنهم .

بويت : لست من رأيك . فهذا الاحتقار

سيسحق قلب موث وينسيه ما حفظه من دوره .

١٥٠

الأميرة : هذا ما قصدت إليه . ولست أشك في أن بقيتهم

لن يتقدموا إلينا إذا كف هو عن الكلام . فإذا نصب

معينه

فقد هزمته ، وإذا انتصر عبثي على عبثه فهذا أجمل عبث
في الوجود .

وهكذا نجردهم من عبثهم ، أما عبثنا فهو منا ولنا .
فلنبق هنا لنسخر من هذا الهزل الذي يضمرون ،
أما هم فسيرحلون عنا يجللهم العار حين توجعهم السخرية .
(يسمع صوت نفير)

١٥٥

بوييت : صوت النفير . هيا البسن الأقنعة . لقد أقبل المقنعون .
(يدخل زواج يحملون آلات موسيقية ، ويدخل موث حاملا
صحيفة بها كتاب ويدخل الملك ومعبيه من النبلاء في زى جماعة من
الروس المفعين) .

مث : التحيات لأجمل من في الوجود .

بوييت : ليس الجمال إلا جمال الأقنعة .

١٦٠ مث : أرى طاقة قدسية من أجمل النساء .

(توليه السيدات ظهورهن)

اللواتي سحرن بظهورهن أبصار الخلائق .

بيرون : « بعيونهن » أيها الوغد « بعيونهن » .

مت : اللواتي سحرن بعيونهن أبصار الخلائق .

إلى باب . . .

١٦٥ بوييت : أصبت . « إلى الباب » . هيا إلى الباب .

- مث : إلى باب عطفكن ، أيتها الأرواح الملائكية ،
نتوسل إليك ألا تجدن بنظرة . . .
- بيرون : « أن تجدن بنظرة » أيها الوغد .
- مث : أن تجدن بنظرة من عيونكن المشرقة كشعاع الشمس -
١٧٠ بعينونكن المشرقة كشعاع الشمس -
- بوييت : هذا الوصف لا ينطبق عليهن .
- كان خيراً أن تقول « المحرقة كشعاع الشمس » .
- مث : إهن لا ياتفتن إلى . سأكف عن الكلام .
- بيرون : أهذا أحسن ما عندك ؟ هيا انصرف أيها الوغد .
(يخرج مث)
- ١٧٠ روزالين : ماذا يطلب هؤلاء الغرباء ؟ سلهم عن مرادهم يا بوييت .
فإن كانت لغتهم من لغتنا فإنا نريد
أن يفصح رجل صريح عن غرضهم .
سلهم عن مرادهم
- بوييت : ماذا ترجون من الأميرة ؟
- بيرون : لا شيء إلا السلام والزيارة الكريمة .
- ١٨٠ روزالين : ماذا يقولون إنهم يبغون ؟
- بوييت : لا شيء إلا السلام والزيارة الكريمة .
- روزالين : لهم ما يطلبون ، فمرهم أن ينصرفوا .

- بوييت : الأميرة تقول إن لكم ما تطلبون ، فانصرفوا إذن .
- فرديناند : قل لها إننا قطعنا الأميال الطوال
لنرقص معها على هذا الكلاً . ١٨٥
- بوييت : هم يقوون إنهم قطعوا الأميال الطوال
ليرقصوا معك على هذا الكلاً .
- روزالين : هذا ليس صحيحاً . سلهم كم بوصة في الميل .
فإن كانوا حقاً قد قطعوا الأميال الطوال
فهم لاشك يعرفون كم بوصة في الميل . ١٩٠
- بوييت : إن كنتم حقاً قد قطعتم الأميال
والأميال الطوال لتصلوا إلى هذا المكان
فالأميرة تأمركم إن تقواوا كم بوصة في الميل .
- بيرون : قل للأميرة إن مقياسنا هو خطواتنا المتعبة .
- بوييت : إنها تسمع كلامك بنفسها .
- ١٩٥ روزالين : إذن فكم خطوة متعبة
في كل ميل من هذه الأميال الطوال المتعبة
التي قطعتموها ؟
- بيرون : نحن لا نحصى خطواتنا حين نسير من أجلك يا مولاتي .
فواجبنا نحوك عظيم بلا حدود
يدفعنا إلى أن نؤديه دائماً بلا حساب ٢٠٠

تعطى وأشرفى بوجهك علينا كالشمس
حتى نتعبد كأهل الفطرة لضيائك .

روزالين : بل إن وجهى كالبدر ، ويحجبه الغمام .

فردينايد : بارك الله فى هذا الغمام الذى يحجب هذا البدر !

تعطف علينا إذن أيها البدر الوضاء بنورك ، ولتبزغ
معك نجومك

٢٠٥

من وراء هذا الغمام على عيوننا الدامعة .

روزالين : يا لك من سائل عابث ! سل ما هو أتمن من هذا .

فأنت الآن تضيع وقتك فى طلب ما لا قيمة له .

فردينايد : أيها القمر ذو الوجوه الدوارة ، تعطف علينا بدورة
واحدة ،

بإذنك رجوتك وأنت تقدرين الرجاء وإن جاء من
أجنبي .

٢١٠

روزالين : إذن فإلينا بالموسيقى . هيا نرقص من فورنا .

أراك تردد ؟ إذن عدلنا عن الرقص وهكذا أنغير
كالقمر .

فردينايد : ألا ترقصين ؟ ماذا جعلك تتحولين عن رأيك ؟

روزالين : لقد أدركت القمر حين كان بديراً فلما انتظرت دخل

القمر فى وجه جديد .

فرديناند : ولكن ما زالت هي القمر وما زلت أنا الرجل الذى

يظهر فى القمر .

٢١٥

وما زالت الموسيقى تعزف . فأذنى بالرقص .

روزالين : آذاننا ترقص مع الأنغام .

فرديناند : والواجب أن ترقص الأقدام .

روزالين : ما دمتم أجانب عن هذه البلاد ، جئتم هنا بمحض

الصدفة ،

فلن نخجل منكم ، هات يدك : لن نرقص يا سيدى .

فرديناند : إذا كنا لن نرقص فقيم أعطيك يدى ؟

٢٢٠ روزالين : لنسلم سلام الوداع ، ونفترق أصدقاء :

انحنين للتحية يا حبيبائى . بهذا تنهى الرقصة .

فرديناند : أعطنا مزيداً من هذه التحية . وبهذا ينتهى الأمر .

روزالين : لن تنالوا منا المزيد بهذا الثمن البخس .

فرديناند : إذن فحددن أنتن الثمن . بم نشترى صحبتكن ؟

روزالين : بانصرفكم ، لا أقل من ذلك .

٢٢٥ فرديناند : هذا لن يكون .

روزالين : إذن فلا سبيل إلى شرائنا ، ولهذا أقول الوداع .

تحيتان لقناعك ، ونصف تحية لك .

فرديناند : ما دمت ترفضين الرقص ، فلنتحدث بعض الوقت .

- روزالين : في حلوة إذن
- فرديناند : يسعدني هذا أكثر من أى شىء آخر .
(يتحدثان على انفراد)
- بيرون : أى سيدتى ، يا ذات اليد البيضاء ، عندى كلمة
٢٣٠ واحدة حلوة أحب أن أقولها لك .
- الأميرة : الشهد واللبن والسكر . هاك ثلاث كلمات .
- بيرون : بل وثلاث أخرى ، ما دمت تحبين الدقة :
الخمروالراحوالصهباء . يازهر . « دو ، سيه » ثلاثة وثلاثة ،
بهذا نتكافأ ، ولدينا الآن ست كلمات حلوة .
- الأميرة : والحلوة السابعة هى : مع السلامة .
٢٣٥ ما دمت تغش فى اللعب فلن ألعبك ،
- بيرون : كلمة واحدة على انفراد .
- الأميرة : أرجو ألا تكون حلوة .
- بيرون : أنت قطعت مرارتى .
- الأميرة : مرارتك مرة .
- بيرون : لهذا فهى مناسبة .
(يتحدثان على انفراد)
- دويان : هل تتكرمين بأن نتبادل كلمة ؟
- ماريا : قل ما هى .

- دومان : سيدتى الجميلة . . .
- ماريا : أهذا رأيك ؟ إذن خذ هذا : سيدى الجميل .
- ٢٤٠ خذ هذا بدل سيدتك الجميلة .
- دومان : ائذنى لى بكامة مثلها أقولها على انفراد ، ثم أنصرف .
(يتحدثان على انفراد)
- كاترين : عجبيا ! هل صنع قناعك بغير لسان ؟
- لونجافيل : أنا أعرف يا سيدتى السبب الذى من أجله تسألين .
- كاترين : إلى بالسبب . عجل يا سيدى فإنى مشوقة إلى معرفته .
- ٢٤٥ لونجافيل : السبب أن فى قناعك لسانين ،
- وفى إمكانك أن تعطى أحدهما لقناعى الصامت هذا (١)
- كاترين : قناعك هذا يسميه الهولنديون « فيل » ،
- أليس الفيل ، وفيه من اسمك ، هو العجل ؟
- لونجافيل : العجل ! سيدتى الجميلة !
- كاترين : كلا ! بل عجل سيد جميل .
- لونجافيل : فلنقسم الكلمة إذن .
- كاترين : كلا ، فلن أكون نصفك (٢) :

(١) لقد كان القناع القديم يثبت على الوجه بلسان أو ببروز من الداخل يمسك فى الفم . وربما كان فى هذا القول أيضاً إشارة إلى « لسان » الأفاعى « المزدوج » .

(٢) تريد « زوجتك » .

العجل كله لك فخذة وافطمه . فقد يتبين أن العجل

الرضيع ثور .

٢٥٠

لونجافيل : أنت تنطحين نفسك بهذه السخرية المريرة .
أأنت ممن يعطون القرون يا سيدتى الطاهرة ؟ بالله
لا تفعل ذلك .

كاترين : إذن مت عجلاً قبل أن ينبت قرناك .
لونجافيل : هل تسمحين لى بكلمة معك على انفراد قبل أن أموت .
٢٥٥ كاترين : أسمعنى ثغاءك إذن فى هدوء ، فالجزار يسمع صراخك .
(يتحدثان على انفراد)

بوييت : إن ألسنة الحسان الساخرات بتارة
كحد موسى الذى يدق على العيون
ويغلق الشعرة التى تخفى بلطافتها على الأبصار .
حتى يعي الإدراك فى فهمهن .

٢٦٠
حديثهن يقنع كل عاقل ، أما خيالهن فذو أجنحة
أسرع من السهام والرصاص والرياح ، ومن الفكر .
بل أسرع من أسرع الأشياء .

روزالين : كفى كلاماً يا وصيفاتى . كفى . كفى .
بيرون : أقسم أننا جميعاً ضربنا ضرباً موجعاً بهذه السخرية
دون غيرها .

فرديناند : وداعاً ، أيتها البنات الغريبات الأطوار . إن لكن عقولا ساذجة .

٢٦٥ الأميرة : ألف وداع يا أبناء موسكو المقرورين .

(يخرج النبلاء والزواج)

أهذه هي الصفوة التي أذهل ذكاؤها الدنيا .

بوييت : إنهم شموع وأنت أطفأتها بأنفاسك الزكية .

روزالين : إن عقولهم تناسب أبلدانهم ، فالحسن منهم عقله نحسن ،

والسمن عقله سمين .

الأميرة : يا لها من نقائص مضحكة ! العقل الناقص كالملك

الفقير !

أتظنين أنهم لن يشنقوا أنفسهم هذه الليلة ؟

٢٧٠

أو تظنين أنهم سيجرؤون بعد اليوم على الخروج

بوجوه سافرة ليس عليها أقنعة ؟

إن بيرون الذي يفيض بالحياة قد فقد أعصابه

فقد تماماً .

روزالين : لتمام كانوا جميعاً في حالة يرثى لها .

فالملك أوشك أن يبكي باحثاً عن كلمة طيبة يقولها .

٢٧٥ الأميرة : وبيرون أقسم أنه لا يصلح لشيء .

ماريا : ودومان وضع نفسه وسيفه في خدمتي

- وحيث قلت له : لست بحاجة ، أصاب العيّ خادمي .
 كاترين : والسيد لونجافيل قال إني غزت قلبه .
 أتعرفن ماذا سماني ؟
- الأميرة : ربما سماك مرض القلب .
 كاترين : هذا ما قاله عني حقاً .
- ٢٨٠ الأميرة : ما دمت مرضياً فابتعدى .
 روزالين : رأينا رجالا يفوقونهم في الذكاء كانوا أبسط منهم زيباً .
 ولكن اسمعن البقية . إن الملك أقسم أنه عاشق الأمين .
 الأميرة : وبيرون المرشح عاهدني على الوفاء .
- كاترين : ولونجافيل قال إنه ما خلق إلا ليكون خادمي .
 ماريا : ودومان قال إنه ملك لي ، وإنه ألصق بي من القشرة
 للشجرة . ٢٨٥
- بوييت : يا مولاتي ، ويا سيداتي الفاتنات ، اسمعن إلى ما أقول .
 سيعود السادة من فورهم إلى هذا المكان
 في أزيائهم الحقّة وبغير تنكر .
 فمن غير المعقول أن يقبلوا هذه الإساءة الجارحة .
 الأميرة : أتعقد أنهم سيعودون ؟
- ٢٩٠ بوييت : نعم ، نعم ، علم الله .
 ولسوف يرقصون فرحاً رغم أن الضربات قد كسّحتهم .

فلتسترد كل هديتها ، وحين يقبلون ،
تفتحن كالورود العاطرة في نسيم الصيف العليل .
الأميرة : وكيف نتفتح ؟ وكيف نتفتح ؟ أفصح لنفهم كلامك .
بوييت : حين تلبس الحسان القناع تبدو كالورود الحبيثة في
براعمها ،

٢٩٥

وحين تنزع عنها القناع تخرج منها فتبدو كالدمقس
الحلو الذي امتزجت فيه الحمرة والبياض ،
فهن ملائكة تزيج عنها الغمام أو ورود تتفتح .
الأميرة : كفى ألغازاً . ترى ماذا نفعل

لو عادوا إلينا على حقيقتهم ليخطبوا ودنا ؟

٣٠٠ روزالين : يا سيدتي الكريمة ، إذا أردت نصيحتي

فلنواصل السخرية منهم على حقيقتهم كما سخرنا منهم
حين جاءوا إلينا متنكرين .

فلنشكوا إليهم من جماعة من الحمقى زارونا مستخفين

في زي الروس وفي ثياب لا هندام فيها ،

ونقول إننا لا ندرى من يكون هؤلاء الرجال ، وفيهم كان

قدومهم إلى خيمتنا ،

وماذا كانوا يبغون من وراء ذلك المشهد السخيف

٣٠٥

الذي مثلوه أمامنا ، وذلك الخطاب الركيك الذي بدأوا به

مشهدهم ،

وذلك السلوك الغليظ المضحك الذي ظهروا به أمامنا .

بوييت : انسحب يا سيداتي ، فقد وصل العشاق .

الأميرة : هيا أسرعن إلى الخيام في خفة الغزلان تمشي على الحمائل .

(تخرج الأميرة وروزالين وكاترين وماريا)

(يعود الملك وبيرون ولونجافيل ودومان في زيهم الطبيعي)

٣١٠ فرديناند : حفظ الله حياتك يا سيدى الكريم ! أين الأميرة ؟

بوييت : ذهبت إلى خيمتها .

أتأمرنى جلالتك بأية خدمة أقوم بها لديها ؟

فرديناند : نعم ، أن تتفضل وتستمع إلى كلمة منى .

بوييت : سمعاً وطاعة . وإنها لفاعلة فيما أعرف يا سيدى .

(يخرج)

٣١٥ بيرون : إن هذا الفتى يلتقط الفكاهة كما يلتقط الحمام الحب

ثم يتجشؤها مرة أخرى كلما سمحت له الظروف .

إنه بدال يجمع الفكاهات وبييعها بالتجزئة

في الأفراح وحول أقداح الراح وفي الندوات وفي الأسواق

والمواكب .

أما نحن الذين نبيعها بالجملة فالله يعلم

أنا لا نعرف كيف نعرضها هذا العرض البديع .

وهذا الفتى يطوى الحسان في أكمامه ،

ولو أنه كان أبانا آدم لأغوى حواء بدلا من أن تغويه .
وهو يعرف كيف يأسر القلوب ويفتعل الرقة في الكلام ،
وهو الذي قبل يده بتحية الوداع .

٣٢٥

إنه كالقرد يتقن محاكاة آداب السلوك ،
وهو الفرنسي اللبق الذي يلحن الزهر ، حين يلعب النرد ،
بشريف الألفاظ . بل هو يحسن الغناء
ويتقن تقديم الزائرين إلى سيده الأميرة فلا يخطئ أبداً .
تناديه كل سيدة : « يا حبيبي » ،

٣٣٠

وعندما ينظر على السلم في رشاقة يقبل الدرج قدميه .
هو الزهرة التي تبسم لكل ناظر
ليرى الكل بياض أسنانه الناصع كعظم الحوت .
وما من منصف حتى الضمير
إلا ويطرى السيد بوييت ذا اللسان المعسول بما يستحق
من ثناء .

فرديناند : اللعنة على لسانه المعسول ، هذا الذي أخرس موث
تابع أرمادو

٣٣٥

وأنساه اللور الذي حفظه . نعم ، أنا ألعنه من صميم قلبي .
(تعود الأميرة ويملن عن قدمها بوييت ومع الأميرة روزالين
وماريا وكاتربن والأتباع)

- بيرون : انظر إلى آداب السلوك قادمة علينا . أين كنت
يا آداب السلوك
- فرديناوند : جاد بك الغيث يا سيدتى الفاتنة وصحا نهارك .
- ١٣٤٠ الأميرة : الغيث والصحو لا يتفقان على ما أتصور .
- فرديناوند : أرجوك أن تحسنى فهم كلامى .
- الأميرة : إذن فأرجوك أن تحسن تحيى . أذنت لك فى ذلك .
- فرديناوند : جئنا لزيارتك ونحب الآن أن نقودك إلى بلاطنا .
فهل تتفضلين بالقبول .
- ٣٤٥ الأميرة : هذا الحقل سيحفظنى ويحفظ بذلك عليك قسمك .
فلا الله يحب الحائثين ولا أنا أرضى .
- فرديناوند : لا تؤنبنى على ما جنت يداك .
فالفضيلة فى عينيك تحلى من قسمى .
- الأميرة : أنت تسمى فهم الفضيلة ، وقد كان ينبغى أن تقول
الرديلة .
- ٢٥٠ فليس من عمل الفضيلة أن تنكث بعهود الرجال .
لهذا أقسم بشرف عذارى الطاهرة
كالسوسنة التى لم تدنسها يد إنسان ،
أنى لن أقبل الضيافة فى دارك

ولو تحملت في ذلك كل ما في الدنيا من عذاب .
وهذا يريك كم أبغض أن أكون سبباً في الحنث
بالإيمان .

٣٥٥

التي يرتبط بها الشرف وتشهد عليها السماء .
فرديناند : واأسفاه ! لقد أقمت في هذا البلقع وحيدة
لا يراك أحد ولا يزورك إنسان . ونحن أشد ما نكون
خجلاً من ذلك .

الأميرة : كلا يا مولاي ، ليس الأمر كذلك . أقسم لك أن
هذا غير صحيح .

فقد نعمنا هنا بأطيب الألعاب وأزجينا فراغنا على خير
ما يكون .

٣٦٠

ولقد زارنا أربعة من الروس ولم ينصرفوا إلا أخيراً .

فرديناند : ماذا تقولين يا سيدتى ؟ من الروس !

الأميرة : أجل يا مولاي ،

هذه هي الحقيقة .

وقد كانوا مثلاً للنبالة والأناقة ، يفيضون بالتودد
وتجللهم المهابة .

روزالين : بل قولي الصديق يا سيدتى ، ليس هذا صحيحاً يا مولاي .

فسيدتى جرياً على عادة هذه الأيام

٣٦٥

تلقى الشناء جزافاً على من لا يستحقونه تأدياً منها ومجاملة .
نعم لقد جاءنا نحن الأربع أربعة رجال

في ملابس الروس وأقاموا بيننا ساعة يرثرون .
ولكنهم يا مولاي لم يجودوا علينا
بكلمة واحدة طيبة طول هذه الساعة .
ولست أستطيع أن ألقبهم بالحمقى ، ولكن رأيي فيهم
أنك لا تفرقهم من الحمقى إن رأيتهم ظمأى مقبلين
على الشراب .

٣٧٠

بيرون : هذه دعاية لا تروى ظمأ .
إن ذكاءك ، يا فاتنى الكريمة يجعل من الحكمة
حماقة .

فحين نحمق في الشمس ، وهي عين السماء الملتهبة ،
لنحيبها يعشينا الضياء فنفقد البصر .
ولقد وسعت عبقريتك الفذة كل شيء
حتى لتبدو بجانبها الحكمة سفاهة والغنى فقراً .
روزالين : قولك هذا يثبت أنك من أهل الحكمة ومن أهل الثراء ،
لأنك في عيني . . .

٣٧٥

بيرون : أحمق وفقير مدقع .
روزالين : لولا أنك أخذت ما هو لك ، لقلت إنك أخطأت
حين انتزعت الكلام من فمي انتزاعاً .

بيرون : بل أنا وكل مالي ملك يديك .

- روزالين : الأحمق كله ملك يدي ؟
- بيرون : وهل أستطيع أن أعطيك أقل من ذلك ؟
- ٣٨٥ روزالين : أى قناع وضعت على وجهك ؟
- بيرون : أين ؟ متى ؟ أى قناع ؟ وفيم تسألين عن هذا ؟
- روزالين : هناك ، وقتئذ ، ذلك القناع ، أقصد ذلك الغطاء الإضافي
- الذى أخفى أسوأ الوجهين وأبان عن أحسنهما .
- فرديناند : لقد اكتشفنا الحقيقة ، وسوف يسخرن الآن منا أسر سخرية .
- ٣٩٠ دومان : فلنعترف إذن بما فعلناه ونجعله موضوعاً للدعابة .
- الأميرة : أعاجب أنت يا مولاي ؟ وما سر هذه الكتابة التى تبدو على وجه جلالتكم ؟
- روزالين : النجدة ! النجدة ! اسندوا جبهته يوشك أن يغشى عليه .
- ما سر هذا الشحوب ؟
- أظن أن دوار البحر أصابك وأنت قادم من موسكو .
- بيرون : هذه أوبئة تمطرنا بها النجوم لأننا حثنا باليمين .
- ٣٩٥ أفى الدنيا وجه صفيق يحتمل من التقريع أكثر من هذا ؟
- هأنذا أقف أمامك يا سيدتى فصوبى إلى كل ما فى جعبة حذقك من سهام .

اسحقيني باحتقارك . املأى نفسي اضطراباً بسخريتك .

اطعنى غباوتى بسنان ذكائك النفاذ .

مزقيني إرباً بنصال عقلك الثاقب .

فلن أسألك أن ترقصى معى ما حييت ،

٤٠٠

ولن أقف فى خدمتك فى زى الروس بعد اليوم .

أجل . لن أثق ما حييت فى الخطب المنمقة ولا فى كلام

الصبية الأغرار ،

ولن أزور من أحب مستخفياً وراء قناع ،

أو أطارحها الغرام بالقريض ،

كأننى المنشد الأعمى يترنم بقيثارته .

٤٠٥

لن أتغزل بعبارات مدبجة كأنها الثوب الزاهى ، أو بأقوال

ناعمة كالحرير ،

أو بالخيال الموشى كأنه المحمل الغالى ، أو بالبيان

المتكلف أو بالبلاغة المتحدلقة .

إن هذه الأشياء الدنيئة قد ملأتنى غروراً ،

وإنى لعازف عنها جميعاً .

٤١٠

قسماً بهذا القفاز الأبيض الذى ينحى يداً علم الله مقدار

بياضها ،

أعلن أنى لن أغازل بعد اليوم إلا بلا أو نعم ،

صريحتين لا مواربة فيهما ولا مجاملة .
 وهأنذا أبدأ حديثي فأقول ، أعانني الله على ما أقول :
 إن حي لك ، يا فتاة حب نظيف لا عيب فيه
 ولا أوشاب عليه .

٤١٥

روزالين : إن في قولك « لا أوشاب » شيئاً من التأنق فدعه من فضلك .

بيرون : إن بي أثراً من الحنق القديم ، صبراً .
 لقد أدركني السقم ، ولكني سأبرأ منه شيئاً فشيئاً .
 مهلاً ! انظرن إلى هؤلاء الثلاثة ترين الداء ينخر
 أجسامهم .

٤٢٠

لقد أصابهم الداء ، وهو كامن في قلوبهم .
 أجل ، أصابهم الطاعون . روتهم به لحاظكن ،
 هؤلاء السادة صرعى الطاعون . وأنتن يا سيداتي لستن
 بمنجاة منه .

فإني أراكن تحملن أعراضه .

الأميرة : ولكن السادة الذين نحمل تذكراهم بمنجاة منا .
 بيرون : حياتنا رهينة بين أيديكن ، ولا أمل لنا في النجاة ،
 فمن العبث أن نحاول

٤٢٥

روزالين : هذا غير صحيح .

- وكيف يكون صحيحاً وأنتم أصحاب الدعوى .
- بيرون : صمتاً ! فلن يكون لى شأن معك .
- روزالين : وأنا كذلك لن يكون لى معك شأن ، إذا فعلت ما أنتويه .
- ٤٣٠ بيرون : لقد فرغت جعبتى . هيا دافعوا أنتم عن أنفسكم .
- فرديناند : علمينا يا سيدتى كيف نكفر عن إساءتنا إليكن .
- الأميرة : فى الاعتراف خير تكفير .
- ألم تكن هنا منذ هنيهة متنكراً ؟
- فرديناند : بلى ، لقد كنت يا سيدتى
- الأميرة : وهل كنت فى كامل عقلك ؟
- الملك : نعم كنت يا سيدتى الحسنة .
- ٤٣٥ الأميرة : وبم همست عندئذ
- فى أذن محبوبتك حين كنت هنا ؟
- فرديناند : بأنى أقدرها أكثر مما أقدر كل ما فى العالم .
- الأميرة : فإذا هممت بامتحان إخلاصك نبذتها وأعرضت عنها .
- فرديناند : كلا ، أقسم لك بشرفى .
- الأميرة : صمتاً ! صمتاً ! أمسك عن القسم ، فمن حنث بالعهد
- ٤٤٠ مرة هانت عليه اليمين .
- فرديناند : إذا حنثت بهذه اليمين فازدريئى .
- الأميرة : سأفعل ذلك ، فاحفظ إذن بقسمك . يا روزالين ،

- بم همس في أذنك السيد الروسي ؟
يا سيدتي ، إنه أقسم أنه يحبني
كنور عينيه الذي لا يعلو شيء عليه ،
وأنه يقدرني فوق كل ما في الدنيا ، ثم أضاف
أنه إن لم يتزوجني فسوف يموت عاشق الوفي .
- الأميرة : إذن أتم الله فرحتك به يا روزالين . فهذا السيد النبيل
سوف يني بما وعد به كما يقضى بذلك الشرف .
- ٤٥٠ فرديناند : ماذا تقصدين يا سيدتي ؟ أقسم بحياتي وبشرفي
إني ما أقسمت مثل هذا القسم لهذه السيدة .
- روزالين : وأنا أقسم بالسما أنك أقسمت لي على ذلك . وقد
أعطيتني
هذه الهدية تأكيداً لما تقول . فخذ هديتك يا سيدي .
فهانذا أردها إليك .
- فرديناند : بل أنا أعطيت العهد والهدية معاً للأميرة .
وقد عرفتها بهذه الجوهرة التي تحملها على كمها .
- الأميرة : عفواً يا سيدي . إن السيدة روزالين كانت تلبس هذه
الجوهرة .
والسيد بيرون هو الذي خطب ودي ، فالشكر له .

والآن يا سيدى بيرون . ألا تزال تريد يدى أم تحب
 أن تسترد اللرة التى وهبتنى إياها ؟
 : لا أنت ولا هى ، فإنى أترك كليكما .

بيرون

لقد فهمت اللعبة : لقد كان ثمة اتفاق بين هؤلاء
 السيدات

٤٦٠

وقد جاءهن علم سابق بدعابتنا
 فتواطأن على إفسادها كأنها المهواة التى تمثل فى عيد
 الميلاد

أجل . لقد وشى بمرادنا واش ، أو نمام أو طفيلي ،
 أو مهرج تافه ، أو ثرثار يشقشق بالأنباء ، أو فارس
 من فرسان المآذب ،

أو سمير مهذار لا يكف عن الهزل
 ويعرف كيف يضحك سيدتى كلما طابت نفسها
 للمزاح .

٤٦٥

وما إن وقفت السيدات على سرنا
 حتى تبادلن ما أخذن من هدايا .
 وهكذا تبع كل منا دلالة غرامه فغازل غير محبوبته .

هكذا أضفنا إلى حثنا السابق حثاً جديداً ،
 فازداد إثمنا شناعة لأننا سعينا بمحض إرادتنا

٤٧٠

إلى هذا الخطأ . هذا ما أعتقد أنه حدث .
 (مخاطباً بوييت) وأنت يا سيد بوييت . ألم تعرف
 بدعابتنا

وتفسدها لكي يتبدى للسيدات زيفنا ؟
 أأست تعرف من أين تؤكل الكتف وتدخل على فؤاد
 سيدتى السرور .

٤٧٥

أنت الطفيلي الذي يحمي ظهر سيدتى من النار
 ويمزح طرباً وهو يحمل الصحف .
 أنت الذي أسكت تابعنا الفتي عن تلاوة القصيدة .
 ولكن لا جناح على أحمق .

وحين تنفق سوف يكون كفنك ثوب امرأة . أتشممت
 في ؟

٤٨٠

إن عينك هذه كسيف من رصاص لا يمترق شيئاً .
 هكذا مرحنا أشد المرح بهذه الدعابة الجميلة ، التي
 سارت إلى آخر الشوط .
 انظروا إليه ! ها هو ذا يستعد للترال من جديد .
 اصمت ، لقد قلت كل ما عندي .
 (يدخل كسارد)

بوييت

بيرون

مرحى بالقريحة الصافية . أنت تقف بيننا فتضع حداً
 لهذه المباراة الشريفة .

٤٨٥ كستارد : هذا رأيك يا سيدى . هؤلاء السادة يريدون أن يعرفوا هل الأبطال الثلاثة قادمون أو غير قادمين .

بيرون : وكيف ذلك ؟ هل ضمير الأبطال التسعة إلى ثلاثة ؟

كستارد : كلا يا سيدى . ولكن كلا منهم سيمثل ثلاثة أبطال .

بيرون : وثلاثة في ثلاثة تساوى تسعة .

كستارد : كلا يا سيدى . أرجو ألا تكون كذلك ،

فتسعة رقم المغفلين ، ونحن لسنا من المغفلين أوكد لك

ذلك يا سيدى .

٤٩٠

نحن نعرف ما تعلمنا وأرجو يا سيدى أن تكون ثلاثة في ثلاثة . . .

بيرون : لا تساوى تسعة .

كستارد : لا تؤاخذنى يا سيدى ، نحن نعرف حاصل ثلاثة

في ثلاثة .

بيرون : قسماً ! لقد كنت دائماً أحسب أن ثلاثة في ثلاثة

تساوى تسعة .

كستارد : هذا رأيك يا سيدى ، لو كنت تكسب عيشك

من الحساب لمت من الجوع .

٤٩٥

بيرون : كم إذن ثلاثة في ثلاثة ؟

كستارد : هذا رأيك يا سيدى . ولكن الممثلين سوف يرونك

- حاصل ثلاثة في ثلاثة . أما أنا
 فعلى أن أمثل دور رجل واحد لا أكثر ،
 وهذا البائس يا سيدى هو بوميون الكبير . ٥٠٠
- بيرون : أنت واحد من الأبطال ؟
 كستارد : هكذا رأوا أنى أليق لدور بومي الكبير .
 أما أنا فلا أعلم شيئاً عن مكانة هذا البطل ،
 ولكنى رغم ذلك سأمثل شخصه .
- بيرون ٥٠٥ : هيا انصرف إذن ، ومرهم أن يستعدوا .
 كستارد : سوف نمثل أحسن تمثيل . وسوف نمثل بعناية .
 (يخرج)
- فرديناند : اسمع يا بيرون : سوف يجلبون علينا العار امنعهم من
 المجئ .
- بيرون : إن الحجل لا يعرف طريقه إلينا يا مولاي . ثم إن هناك
 بعض الحكمة
 فى أن ترى سيداتنا مشهداً أردأ من مشهد الملك ورجاله .
- ٥١٠ فرديناند : أنا أمر بعدم مجيئهم .
 الأميرة : بلى يا مولاي الكريم ، دعنى أفرض عليك رأى الآن .
 فأمتع الألعاب ما لا يعرف أصحابه كيف يمتعون .
 وحرص اللاعب على الإرضاء يمت الدور الذى يلعبه .

وأدعى الأشياء إلى السرور ما اختلطت أشكالها ،

وليس أرواح على النفس من عظام الأمور

٥١٥

تجاهد لتخرج إلى الحياة فتموت في مهدها .

بيرون : هذا خير وصف يا مولاي لما دبرناه من فكاهة .

(يدخل أرمادو)

أرمادو : يا من رسمت ملكاً علينا ، اضرع إليك أن تجود عليّ

بأنفاسك الملكية الزكية فتخاطبني بكلمتين .

(يتحدث إلى الملك ويسلمه ورقة)

٥٢٠ الأميرة : أيعبد هذا الرجل الملك أم يعبد الله ؟

بيرون : لم تسألين هذا السؤال ؟

الأميرة : إنه لا يتكلم كرجل من خلق الله ؟

أرمادو : سيان الأمر عندي يا هليكي الحاو الجميل الشهي

كالشهد المصنفي .

فأنا أعلن أن المدرس هولوفرنيز رجل مسرف في أوهامه ،

بل آية من آيات الغرور . أجل آية من آيات الغرور .

٥٢٥

ولكن فلنترك الأمر كما يقولون في كفة الوغى

فهي ترجح ما تشاء . وأتمنى لشخصيكما الملكيين

راحة البال .

(يخرج)

فرديناند : يبدو أنه قد اجتمع لنا من يمثل الأبطال التسعة خير تمثيل :

فهذا الرجل يمثل هكتور بطل طروادة ،
والفلاح يمثل بومبي الكبير ، والقس يمثل الإسكندر ،
وتابع أرمادو يمثل هرقل ، والمدرس المتحذلق يمثل يهوذا
المكابي .

٥٣٠

وإذا نجح هؤلاء السادة الأفاضل الأربعة في أدوارهم
في المشهد الأول

بدلوا ملابسهم ومثلوا الخمسة الباقين .

بيرون : أنت عددت خمسة في المشهد الأول .

٥٣٥ فرديناند : أخطأت ، فهذا غير صحيح .

بيرون : المدرس المتحذلق والنفاج والقس

والمغفل والغلام .

هؤلاء خمسة لم يجد الدهر يمثلهم .

إذا نظرت إلى كل منهم حسب قيمته .

فرديناند : أرى سفينة الحمقى قد بسطت شراعها ، وها هي ذى

تمخر صوبنا العباب .

٥٤٠

(يدخل كستارد في زى بومبي)

كستارد : أنا بومبي . . .

- بيرون : كذبت . أنت لست بومبي .
- كستارد : أنا بومبي
- بوييت : رأس سبع ، والسبع راعع على ركبتيه .
- بيرون : أحسنت الوصف ، أيها الساخر الأصيل ،
ون واجبي أن أصطرح معك .
- ه ه ه كستارد : أنا بومبي ، وبومبي أنا ، يلقبني الناس ببومبي الطويل . .
- دومان : الأكبر .
- كستارد : نعم يا سيدى ، « الأكبر » . يلقبني الناس ببومبي
الأكبر .
- أنا الذى كثيراً ما خضت المعارك حاملاً درعى فجعلت
أعدائى يتصيبون عرقاً .
- وقد وصلت هنا مصادفة بعد أن جبت شواطئكم ،
وها أنذا ألقى بسلاحى عند قدمى هذه الغادة الجميلة
أميرة فرنسا .
- ه ه ه
- فإذا قلت يا سمو الأميرة : « شكراً يا بومبي »
فرغت من دورى .
- الأميرة : شكراً عظيماً لبومبي العظيم .
- كستارد : أنا لا أستحق كل هذا الشكر ، ولكن أرجو أن أكون
قد وفقت .

فلم أرتكب إلا غلطة واحدة في كلمة « الأكبر » .
 : أراهن بقبعتي نظير نصف بنس أن يومى أحسن
 الأبطال .

٥٥٥

بيرون

(يدخل السيد فانايل في زى الإسكندر)

: حين كنت من أهل الدنيا كنت س.د. العالمين ،
 ونشرت جحافل المظفرة في الشرق والغرب والشمال
 والجنوب .

فانايل

وهذه الشارة البسيطة تشهد بأنى الإسكندر .

: ولكن أنفك يشهد بأنك لست الإسكندر ، فهو أشد
 استقامة مما ينبغى .

بوييت

٥٦٠

: بل أنفك الحساس يا بوييت هو الذى أشتم أنه ليس
 بالإسكندر .

بيرون

: أرى اليأس يغمر الغازى . امض فى كلامك أيها
 الإسكندر الصالح .

الأميرة

: حين كنت من أهل الدنيا كنت سيد العالمين . . .

فانايل

: هذا صحيح . أصبت فى القول ، فقد كنت كذلك
 يا إسكندر .

بوييت

: وبومى الأكبر . . .

٥٦٥ بيرون

: خادمك المطيع كستارد .

كستارد

بيرون : أخرجوا الغازي . أخرجوا الإسكندر .
 كستارد : (مخاطباً ناتانيل) — ماذا فعلت يا سيدي ! لقد أسقطت
 الإسكندر الفاتح .

وسوف نتزع عنك ثيابك الملونة عقاباً لك .
 وشعارك هذا ، هذا الأسد حامل البلطة
 سوف يعطى للبطل آجاكس بدلا منك ،
 وسيكون هو البطل التاسع .

أتمثل دور الفاتح وتخاف أن تفتح فمك !
 هيا اهض وتوار خجلا يا إسكندر .
 (ينصرف ناتانيل) أسألكم أن تنظروا إليه . انظروا
 إليه تروا رجلا وديعاً ولكنه أحمق ،
 رجلا شريفاً ولكنه يفقد شجاعته سريعاً .
 إنه حقاً خير جار ، وهو يحسن لعب الكرة ، ولكنه
 لا يحسن لعب دور كإسكندر .

واأسفاه ! لقد رأيتم أن الدور أكبر منه . ولكن غيره
 من الأبطال

قادمون وسوف يعبرون عن أنفسهم بطريقة أخرى .

٥٨٠ الأميرة : تنح يا صديقنا بومي .

(يدخل هولوفرنيز في دور يهوذا ومث في دور هرقل)

هولوفرنيز : إن هذا الغلام يمثل هرقل العظيم
الذى فتكت هراوته بسربروس ، ذلك الكلب المتوحش
ذى الرؤوس الثلاثة .

و حين كان هرقل طفلاً رضيعاً ضئيل الحجم
نحتق بيده الثعابين هكذا .

وإذا كان القائم بدور هرقل يبدو قاصراً ،
فقد جئتكم بهذا الاعتذار .

٥٨٥

هيا انصرف يا هرقل . هيا اختف عن الأنظار . ولكن
احتفظ عند خروجك بالوقار .

(يخرج مت) وأنا يهوذا . . .

دومان : يهوذا !

٥٩٠ هولوفرنيز : لست يهوذا الإسخريوطى يا سيدى

ولكنى يهوذا الملقب بالملكابى .

دومان : يهوذا هو يهوذا مهما حلته بالصفات .

بيرون : يهوذا الخائن الذى قبل المسيح ليسلمه لليهود . هل

أظهرت حقيقتك يا يهوذا ؟

هولوفرنيز : أنا يهوذا . . .

٥٩٥ دومان : بهذا يزداد عارك يا يهوذا

هولوفرنيز : ماذا تقصد يا سيدى ؟

- بوييت : إنك تجعل يهوذا يشق نفسه .
- هولوفرنيز : تفضل . تكلم يا سيدى ، فأنت تكبرنى سنأ .
- بيرون : أحسنت . إن يهوذا شق نفسه على شجرة ندماً منه على فعلته .
- ٦٠٠ هولوفرنيز : لن يحمر وجهى خجلاً لهذا الكلام .
- بيرون : لأنك لا وجه لك .
- هولوفرنيز : ماذا تقول ؟
- بوييت : بل لك رأس يشبه رأس القيثارة .
- دومان : بل يشبه رأس الدبوس للشعر .
- ٦٠٥ بيرون : بل يشبه رأس ميت رسم على خاتم .
- لوفجافيل : بل يشبه الرأس على عملة رومانية قديمة ، لا يكاد يستبينه الناظر .
- بوييت : بل يشبه رأس سيف قيصر .
- دومان : بل يشبه الجمجمة المحفورة على القارورة .
- بيرون : بل يشبه جانباً من وجه مارجرجس نراه فى الشارة .
- ٦١٠ دومان : والشارة من رصاص .
- بيرون : يلبسها الحلاقون الذين يخلعون الأضراس .
- والآن هيا . تقدم . لقد رددنا لك وجهك .
- هولوفرنيز : بل أرغمتونى على أن أخنى وجهى .

- بيرون : هذا هراء . لقد أنعمنا عليك بثلاثة وجوه .
- ٦١٥ هولوفرنيز : ولكنكم حطمتموها جميعاً .
- بيرون : ولو كنت أسداً لفعلنا بك هذا .
- بوييت : أما وهو حمار ، فلنتركه يمضي لحال سبيله .
- مع السلامة إذن يا يهوذا . لماذا تتريث ؟
- دومان : هو ينتظر نصف اسمه الباقي .
- بيرون : أعطيته اسمه وهو يهوذا . فأعظه لقبه . الحمار - الحمار ،
- انصرف إذن يا يهوذا الحمار .
- ٦٢٠
- هولوفرنيز : هذا كلام غير كريم نحلا من كل ذوق وأدب
- بوييت : أنيروا طريق السيد يهوذا ، فالدنيا تظلم في عينيه ،
- وقد يتعثر في سبيله .
- (يخرج هولوفرنيز)
- الأميرة : وأسفاه على هذا المكابي المسكين ! لقد عذبتموه
- عذاباً أليماً .
- (يدخل أرمادو في دور هكتور)
- بيرون : أي أنجيل ، اختف وتوار فقد جاء هكتور ملججاً
- بالسلاح .
- ٦٢٥ دومان : سوف أطلق لنفسى العنان فأسخر منه
- ولو ارتدت على سخريتي به .

- فرديناند : إن هكتور كان إنساناً عادياً إذا قورن بهذا
- بوييت : ولكن أكان هكتور على هذه الهيئة ؟
- فرديناند : لا أظن أن هكتور كان متين البنية إلى هذا الحد .
- ٦٣٠ لونجافيل : إن ساقه أضخم من ساق هكتور .
- دومان : والضحامة في بطن الساق بلاشك من أمارات الحماسة .
- بوييت : ولكن أضخم ما فيه أسفل ساقه .
- بيرون : هذا لا يمكن أن يكون هكتور .
- دومان : هذا الرجل إما إله وإما رسام . فهو يصوغ من وجهه وجوهاً كثيرة .
- ٦٣٥ أرمادو : إن المريخ ، إله الحرب ، الذي لا يفل له سلاح ، قد أنعم بهدية على هكتور .
- دومان : أعطاه جوزة طيب مطلية بالذهب .
- بيرون : بل أعطاه ليمونة .
- لونجافيل : محشوة بأعواد القرنفل .
- ٦٤٠ دومان : بل مفلوكة .
- أرمادو : صمتاً !

إن مارس ، إله الحرب القادر على كل شيء ،
قد أنعم بهدية على هكتور ، وهو وريث « إليون »^(١)

(١) Ilion = إليون .

- دومان : وقد لا يجبرها بالياردة .
- ٦٦٠ أرمادو : وهكتور هذا يعلو على هانيبال بلا جدال .
وقد قطعت الجماعة -
- كستارد : اسمع يا صديقي هكتور .
إن صاحبتك قد قطعت من الطريق شهرين .
- أرمادو : وماذا تقصد ؟
- ٦٦٥ كستارد : أقول حقاً إنك إذا لم تقم بدور الرجل الشريف ،
فسوف تحطم حياة البنت المسكينة .
إنها حبلى ، والطفل يصخب الآن في بطنها ، فهو ابنك .
- أرمادو : أتلوث سمعتي أمام هؤلاء الأماجد ؟
ستموت بيدي .
- كستارد : ما دام الأمر كذلك فسيجلد هكتور بالسياط بسبب
جا كنيئا ٦٧٠
- التي حملت منه ، ثم يشنق بسبب بومي
الذي مات بيده .
- دومان : أنت نادر بين الرجال يا بومي ا
- بوييت : أنت عظيم بين العظماء يا بومي ا
- بيرون : أنت أعظم من عظيم ، أنت بومي المعظم العظيم ،
العظيم ! ٦٧٥

الذى بلغه من وفرة صحته إنه كان يخرج من خيمته
ليقاتل من الصباح إلى المساء .
وأنا تلك الزهرة .

٦٤٥

دومان : تلك النعناعة .

لونجافيل : تلك الترجسة .

أرمادو : يا سيدى لونجافيل ، اضبط عنان لسانك .

لونجافيل : بل سأترك للسانى العنان ،

لأنه يهجم على هكتور .

٦٥٠ دومان : وهكتور أسرع من كلاب الصيد .

أرمادو : وارحمتاه على هذا المحارب الكريم ،

فهو الآن فى عداد الأموات وجسده طعمة للديدان .

فيا أحبائى ، لا تحطموا عظام الأموات . كان هكتور

رجلا بين الرجال حين كان حياً يرزق .

ولكنى سأمضى فى الدور الذى أمثله .

٦٥٥ فيا مولاتى الكريمة ، أعيرينى أذنك .

(يتقدم بوييت)

الأميرة : تكلم يا هكتور الباسل ، فسرونا بك عظيم .

أرمادو : وأنا أعبد حذاء مولاتى الكريمة .

بوييت : إنه يحبها بالقدم .

- أنت بومبي المهول !
 دومان : أرى هكتور يرتعد .
- بيرون : إن بومبي ثائر : هاتوا مزيداً من الشحناء !
 هاتوا مزيداً من البغضاء ! أثيروهما ، أثيروهما .
- ٦٨٠ دومان : سيتحداه هكتور .
- بيرون : إذا بقي في بطنه دم
 أكثر مما يمتصه البرغوث .
- أرمادو : أقسمت بالقطب الشمالي : إنى أتحداك .
- كستارد : أنا لا أحارب بالقطب ، كما يفعل أهل الشمال .
 أنا البتار . أنا أبتز بالحسام ،
 أرجوك أن تعيرني أسلحتي التي كنت أحملها .
- ٦٨٥ دومان : الأبطال غضبي ، فافسحوا لهم المجال .
- كستارد : سأقاتل وأنا في قميصي .
- دومان : هكذا أهل العزم يا بومبي !
- ٦٩٠ كستارد : دعني يا سيدي أساعدك على خلع سترتك .
 ألا ترى بومبي يخلع سترته استعداداً للقتال ؟
 ماذا تقصد ؟ إنك ستفقد سمعتك .
- أرمادو : أيها السادة ، أيها المحاربون : إنى أطلب عفوكم ،
 لن أقاتل في قميصي .

- ٦٩٥ دوما : لن تراجع
بعد أن تحداك بومبي .
- أرمادو : يا أهل الحسب والنسب . من حتى أن أتراجع ، وسوف
أتراجع .
- بيروك : وما السبب ؟
- أرمادو : إليكم الحقيقة العارية : أنا لا ألبس قميصاً .
٧٠٠ أنا ألبس الصوف على اللحم لأكفر عن الخطايا .
- بويبت : هذا صحيح ، وقد أمره بذلك في روما
لعدم توافر الملابس الداخلية .
وأقسم لكم أنه منذ ذلك اليوم لم يلبس إلا ميدعة
جاكيتا ،
وأنه يلبسها حول قلبه تذكيراً لحبه .
(يدخل السيد مركاديه ، وهو رسول)
- ٧٠٥ مركاديه : حفظ الله حياتك يا سيدتي !
- الأميرة : مرحباً بك يا مركاديه ،
وأن كنت تقطع علينا ما نحن فيه من مرح .
- مركاديه : يؤسفني ذلك يا سيدتي ، فالنبا الذي أحمله إليك
حزين ثقيل على لساني . إن أباك الملك . . .
- ٧١٠ الأميرة : مات ، تكلم !

- مركاديه : أجل . لقد رويت قصتي .
- بيرون : انصرفوا أيها الأبطال . إن المشهد قد بدء يتلبد بالغيوم .
- إرمادو : أما أنا فقد انزاحت الغمة عن صدري .
- فقد رأيت بعين العقل يوماً مليئاً بالأخطاء ،
- وسأقوم نفسي كما يفعل الجندي العتيد .
- (يخرج الأبطال)
- ٧١٥
- فرديناند : كيف حال جلالتك ؟
- الأميرة : أعد العدة يا بوييت ، فسأرحل الليلة .
- فرديناند : لا ترحلي يا سيدتي . أضرع إليك أن تبقى بيننا .
- الأميرة : قلت أعد العدة يا بوييت . شكراً جزيلاً يا سادتي الكرام
- على كل ما بذلتم في سبيلنا من مكرمات . وإني
- لأستعطفكم ،
- ٧٢٠
- بما لكم من حكمة وافرة ، بنفس جدت عليها الأحزان
- أن تفضلوا فتطووا أو تغفروا ما كان بيننا
- من إسراف في الجدل واللجاج ،
- إذا كنا قد تجاوزنا الحدود في المناقشة .
- ٧٢٥
- فما شجعنا على ذلك إلا كرمكم وأدبكم .

وداعاً يا سيدى الكريم ! والقلب الحزين لا يتقن آداب
الحديث .

فغفواً جميلاً إذا كنت قد قصرت في شكركم
على استجابتكم السخية للأمر الخطير
الذى جئت من أجله .

٧٣٠ فرديناند : إذا كان لابد من الوصول إلى قرار سريع
فإن الظروف المحيطة بالإنسان في تلك الساعة
تضطره إلى إخضاع كل شيء لهذه الظروف ،
وهو في سبيل هذا كثيراً ما يحسم ، عفو الساعة ،
أموراً قد لا يستطيع أن يحسمها بالتفكير الطويل .

٧٣٥ وإذا كان حداد الأبناء على الآباء
لا يأذن للعاشق المتفائل أن يعلن ما في قلبه الطاهر
من غرام ،

فإن حديث الهوى كان يجري قبل حديث الأحران ،
فلا ينبغي أن تحجب سحابة الهم
عن العاشق وطره .

٧٤٠ وليس يجدى أن نندب الحبيب الفقيد

كما يجدى أن نظرب للحبيب الجديد .

الأميرة : لست أفهم مرادك . لأن حزني مضاعف .

بيرون : لا ينفذ إلى القلب الكلم شيء كالكلام البسيط ؛
فافهمي مراد الملك من هذا الكلام الواضح الذي يعبر
عما في فؤاده .

٧٤٥
من أجلكن غفلنا عن الزمن
ومن أجلكن حثنا باليمين .
فجمالكن يا سيداتي قد أفسدنا
وجعلنا ننقض كل ما قصدنا إليه .

٧٥٠
فإذا كان قد بدا منا شيء يدعو إلى السخرية ،
فأنغام الحب أكثرها ناشزة ، والحب كالطفل اللعوب
يرقص دون عقل ويقفز دون سبب .
والحب يولد في العين ،

فهو إذن كالعين تزخر بعجيب الأطياف
وتموج بشتى الأشكال والألوان ،
وتختلف فيها الصفات كلما تنقلت العين بين شتى
الأشياء . ٧٥٥

وإذا كنا قد لبسنا رداء الحب المعربد
فبدا في عيونكن الساحرة منكراً متنافر الألوان
لا يليق بوقارنا وبما تعاهدنا عليه ،
فسحر عيونكن التي تبصر كل هذه المعائب .

هو الذى فعل بنا كل ذلك .
وما دام الأمر كذلك يا سيداتى ، وما دام حبنا لكن
نابعاً منكن ،

٧٦٠

فأخطاؤه راجعة إليكن كذلك .
ها نحن أولاء نخون أنفسنا إذ نخون العهد مرة واحدة
لننى بعهدكن إلى أبد الآبدين ، يا سيداتى الفاتنات .
يا من علمتنا الحيانة والوفاء جميعاً ، وهذه الحيانة ،
وإن كانت فى ذاتها رذيلة ، تطهر نفسها من أجلكن ،
بل تصبح من أجلكن فضيلة فاضلة .

٧٦٥

نعم ، لقد جاءتنا رسائل غرامكم .
ومعها هداياكم ، وهى رسل غرامكم .
وقد تبادلنا الرأى كما تفعل العذارى الشريفات
فوجدنا أنها فى باب الغرام لا تتجاوز أن تكون فكاهة
ظريفة ،
وفى آداب الفروسية لا تخرج عن أن تكون لغواً أجوف
نزجى به الوقت .

الأميرة

٧٧٠

فلم نحفل بها أو نقدرها بأكثر من ذلك ،
ولهذا استقبلنا غرامكم بما قصد به أن يكون ،
أى موضوعاً للفكاهة .

- ٧٧٥ دومان : ولكن رسائنا يا سيدتى كان بها أكثر من الفكاهة .
 لونجايل : ونظراتنا أيضاً كان بها أكثر من الفكاهة .
 روزالين : ولكننا لم نفهم منها هذا .
 فرديناند : وفي هذه اللحظة الأخيرة ، امنحتنا حبيكن .
 الأميرة : أعتقد أن هذه اللحظة لا تكفيننا
 لندخل في شركة أبدية .

٧٨٠ كلا ، يا مولاي . كلا . إن جلالتك خوان للعهود ،
 غارق في الخطيئة العظيمة . لهذا أقول :
 إذا كنت حقاً تحبني وتفعل من أجلى وحدى أى
 شى فى الوجود ،

فهذا ما أمرك أن تفعله :

لن أثق بقسمك ، فامض على جناح السرعة
 إلى صومعة مهجورة جرداء

٧٨٥

بعيدة عن كل ما فى العالم من ملذات ،

وأقم هناك حتى ينقضى العام

وتدخل الشمس فى أبراجها الاثنى عشر ،

فإذا كانت هذه العزلة القاسية

لا تغير من حبك الذى تعرضه على الآن فى سورة

الشهوة ،

٧٩٠

وإذا لم يقتل صقيع الشتاء والصوم الطويل
وقسوة المسكن وخشونة الملابس أزهار غرامك هذه
ويطفيء ألوانها اليانعة

فيحتمل غرامك هذه المحنة ويخرج منها قوياً نقياً ،
فلتعد إلى عندما ينقضي الحول

٧٩٥

عودة الفارس لنزالي ، وليكن سلاحك الذي تتحداني به
هذه الفضائل التي اجتمعت لك .
وإني لأقسم بيدي هذه الطاهرة التي تصافح يدك الآن ،
أني سأكون ملكاً لك .

وإلى أن يأتي ذلك الحين

سوف أنزوي مع نفسي الحزينة في بيت الأحزان
وأسكب الدمع مدراراً ، حداداً على أبي الذي قضى .
فإن أبيت ذلك ، فليكن الوداع . ولتفترق يدانا فنفترق :
لا حق لك في طلبي ولا سلطان لي على فؤادك .

٨٠٠

فردينا : ألا فلتغمض عيني يد الموت المباغت
لو أنني أبيت أن أصدع بهذا الأمر أو بأكثر منه ،
مؤثراً عليه راحة العيش ونعيم الحياة .

٨٠٥

انصرف إذن إلى صومعتك أيها الناسك فصدر حبيبي
صومعة لقلبي .

- بيرون : وماذا تطلبين إلى يا حبيبتى ؟ ماذا تطلبين ؟
- روزالين : لا بد من تطهيرك حتى تبرأ من خطاياك .
فقد لوثك الحنث وأفسدتك الأخطاء .
- ٨١٠
- فإذا أردت أن تنال رضاي ، حكمت عليك
بأن تشقى عاماً كاملاً لا تذوق فيه طعم الراحة
ساعياً إلى جوار المرضى تخفف آلامهم .
- دومان : وماذا تطلبين إلى يا حبيبتى ؟ ماذا تطلبين ؟ أتطلبين
أن نتزوج ؟
- كاترين : أطلب إليك ثلاثة : اللحية والعافية والشرف .
فحبي لك مضاعفاً ثلاثة أضعاف يجعلني أطلب لك
هذه الثلاثة .
- ٨١٥
- دومان : وافرحته ! أقول شكراً يا زوجتي العزيزة ؟
- كاترين : مهلاً ، يا سيدى . سأقيم حولاً ويوماً
لا أستمع فيهما لكلام معسول مما يقوله الخاطبون .
فتعال عندما يأتي الملك إلى مولاتي ،
فإن بقي لدى حب كثير فسأعطيك منه شيئاً .
- ٨٢٠
- دومان : وسأكون أنا خادمك الصادق الأمين حتى يأتي ذلك
الحين .
- كاترين : لا تقسم على شيء ، لئلا تحنث في قسمك مرة أخرى .

لونجافيل : وماذا تقول ماريا ؟

ماريا : عندما ينقضى الحول

سأنزع عني ثياب الحداد وألبس مكانها رداء حبك .

٨٢٥ لونجافيل : سأصبر صبراً جميلاً . ولكن هذا وقت طويل .

ماريا : وأنت أطول منه . أنا ما عرفت طويلاً مثلك في مثل

حداثتك . والحديث يستطيع أن ينتظر .

بيرون : أتحدثين عن الدرس يا سيدتي ؟ أنظري إلى يا سيدة

الفؤاد .

انظري إلى عيني ، وهما الناقدتان اللتان يطل منهما

كل ما يجيش في قلبي ،

تري فيهما عاشقاً مطيعاً يضع نفسه رهن إشارتك .

مريني بشيء أقوم به لأثبت لك حبي .

٨٢٠

لطالما سمعت بك يا سيدتي بيرون قبل أن أراك ،

روزالين

فالدنيا كلها تصفك

بأنك رجل ساحر لاحد لسخريته ،

وتقول إن خيالك مليء بالتشبيهات ،

وإن فكاهتك لا تعني أحداً ، وقع تحت رحمتك ،

٨٢٥

علا قدره أو انخفض ، من الهزء الجارح المرير .

فإن أردت أن تستخرج هذه الدودة التي تأكل مخك
 ، الحصب ،
 وتناول يدي ، ولن تناولها إلا إذا فعلت ما أشير به ،
 فقد وجب عليك أن تقضى هذا العام بتمامه ،
 اليوم بعد اليوم ، في عيادة المرضى الذين فقدوا نعمة
 ، النطق ،

٨٤٠

وتداوم على الحديث إلى البائسين المتوجعين ،
 ولتكن هذه مهمتك ،

أن تستخدم كل ما حباك الله به من فكاكة ذكية
 لترد الابتسام إلى شفاه هؤلاء العاجزين المعذبين .

٨٤٥ بيرون : وكيف أستطيع أن أنتزع الضحك من فم الموت ؟
 هذا لا يمكن أن يكون . هذا محال .

فالمرح لا يمكن أن نجد سبيله إلى النفس المعذبة .

روزالين : ولكن هذه هي الطريقة المثلى لتكبت نوازحك الساخرة

التي ينميها فيك اغتباط الحمقى

بما يوجد به عليهم السفهاء من ضحك رخيص .

٨٥٠

فحياة الفكاهة ليست في لسان قائلها ، بل في أذن
 سامعها .

فإذا رضيت آذان المرضى

التي أصمها الأنين المرير وعويل الآلام
 بأن تستمع إلى هزتك السخيف ،
 فامض إذن فيما أنت فيه
 وسأرضى أنا بك على علتك .
 وإذا نبذوك فانبد أنت روحك الساخرة ،
 ولشد ما يفرحني أن ألقاك وقد صلحت حالك
 وبرئت من هذا العيب .

٨٥٥

- ٨٦٠ بيرون : اثنا عشر شهراً كاملة ! فليكن ما يكون ،
 سأمزح اثني عشر شهراً في مستشفى ، وليكن ما يكون .
 الأميرة : (مخاطبة الملك) اتفقنا إذن يا مولاي الكريم . فاسمح
 لي بالرحيل .
 فرديناند : كلا ياسيلتي . سرافقكم في الطريق .
 بيرون : إن غرامنا لا ينتهي كما ينهي الغرام في القصص المألوفة .
 لكن نقول إننا عشنا في تبات ونبات .
 ٨٦٥ ولو شاعت هؤلاء السيدات لجعلن من عبثنا مسلاة
 فكاهية .
 فرديناند : هيا بنا يا سيدى . فلنتظر سنة ويوماً ، ثم نصل إلى
 النهاية .
 بيرون : هذا أطول مما تتطلبه المسرحية .
 (يدخل ارمادو)

- ارمادو : يا جلالة الملكة الكريمة : تنازلى و . . .
- ٨٧٠ الأميرة : ألم يكن هذا هكتور ؟
- دومان : نعم فارس طروادة المغوار .
- ارمادو : دعيني أقبل أنا ملك الملكية ثم أستأذن في الانصراف .
- أنا راهب في محراب الغرام . لقد عاهدت جاكنيتا
- أن أمسك بالمحراث مدى ثلاث سنوات لأثبت لها حبي .
- ولكن أتحيين يا مليكتي المعظمة أن تستمعي إلى الحوار
- الذى وضعه السيدان العالمان في مدح البومة والقوق ؟
- لقد كان من المقرر أن يأتي هذا الحوار
- في نهاية المشهد الذى مثلناه .
- فرديناند : ناد الرجال بسرعة . سنستمع إلى الحوار .
- ٨٨٠ ارمادو : هيا ، تعالوا .
- (يعود هولوفرنيز وناثانيل ومث وكستارد وآخرون)
- هذا الجانب هو الشتاء ، وهذا الجانب هو الربيع .
- والأول تمثله البومة ، والثانى يمثله القوق .
- هيا ابدأ يا ربيع .

الأغنية

- الربيع : عندما تنتشر في المروج
الأقاحى المتعددة الألوان ٨٨٥
والبنفسج الأزرق والسوسن الأبيض الفضى
وبراعم الزنبق الأصفر ،
فتصبغ المروج بأبهج الألوان ،
يهزأ الوقوق على كل شجرة
من الأزواج مزقزقاً : ٨٩٠
وقوق ، قرون- ، وقوق ، قرون ،
فيالها من كلمة رهيبة بغیضة إلى مسامع المتزوجين .
وعندما ينفخ الرعاة فى الأرغول ،
وتصدح القبرة الطروب ، وهى ساعة الفلاح ،
معلنة تباشير الفجر ليخرج الفلاح ٨٩٥
إلى محراثه ، وعندما تخطر الحمام
وتصبغ الشمس رباش العقعق والغراب الأسحم
وثياب العذارى بضياء الصيف الساطع ،
يهزأ الوقوق على كل شجرة من الأزواج مزقزقاً :

وقوق ، قرون ، وقوق ، قرون .
 فيالها من كلمة رهيبة بغیضة إلى مسامع المتزوجين .

٩٠٠

الشتاء : عندما تتجمد قطرات الماء فتصبح عموداً

من جليد معلقاً على الجدار ،

وينتظر القتي صابراً لا يجد ما يعمله ،

ويحمله أخوه الحشيب إلى المدفأة في صحن الدار ،

٩٠٥

وعندما يجمد اللبن في الوعاء ،

ويجمد الدم في العروق ، وتمتلئ الطرقات بالأوجال ،

تغني البومة الشاخصة كل ليلة قائلة :

تعال ! تعال ! أغنية مرحة تغنيها البومة

في حين تبرد الزوجة الحقيرة وعاءها الملتهب .

٩١٠

وعند ما تعصف الرياح بصوت قوى ،

وتغرق ترانيم القس في سعال المصلين ،

وتجثم الطيور على الثلوج ،

وعندما يبلو أنف الزوجة أحمر كاللحم النيء ،

ويئز سرطان البحر المشوى في المقلاة

٩١٥

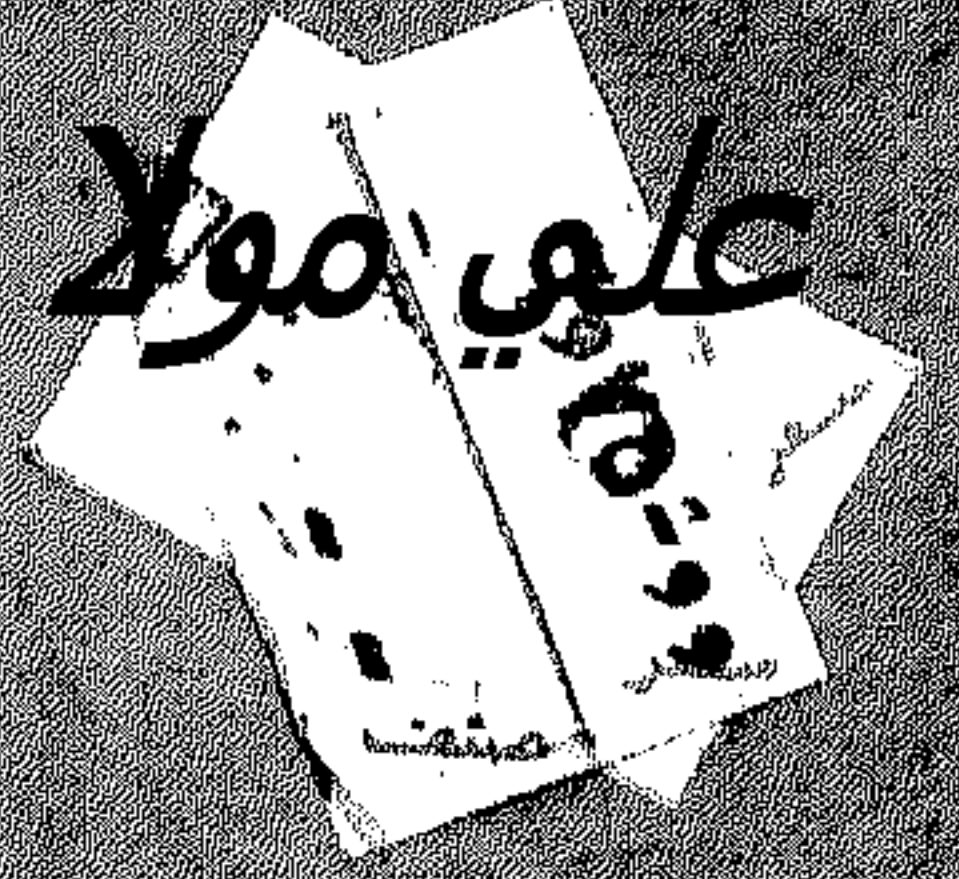
تغني البومة الشاخصة كل ليلة قائلة :

تعال ! تعال ! أغنية مرحة تغنيها البومة

أريادو :
 فى حين تبرد الزوجة الحقيرة وعاءها الملهب .
 ألا ترون معى أن كلام عطارذ ، رب الشتاء ، ثقيل
 على السمع بعد غناء أبولو ، إله الربيع ؟
 (يخرجون)

رقم الإيداع	١٩٩٣ / ٨٤٨٦
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-4222-5

١ / ٩١ / ٤٣٣
 طبع مطابع دار المعارف (ج.م.ع.٠)



تتميز مسرحيات شكسبير الخالدة بأنها نتاج عبقرية
مسرحية وعبقرية شعرية معاً، فقد جمع شكسبير بين
حسن درامي فذ وشاعرية فائقة بالإضافة إلى معرفة
بالنفس الإنسانية والسلوك الإنساني بدرجة من
العمق والإتساع جعلت من كل مسرحياته صوراً
فنية رائعة للحياة الإنسانية.. حلوها ومرها.
وإذا المصانف يسعدنا أن تقدم للقارئ العربي
أعمال شكسبير مترجمة بقلم نخبة من عمالقة الفكر
والأدب في العالم العربي لتكتمل بذلك روعة
التأليف ودقة الترجمة ومنفعة القراءة.

١٣٤٧٢